في علم اللغة التقابلي

دراسة تطبيقية

دكتور
أحمد سليمان ياقوت
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٨٥

دار المعرفة الجامعية
٤٠ سوتير - الأزاريطة

ا

في علم اللغة التقابلي

دراسة تطبيقية

الدكتور أحمد سليمان ياقوت
أستاذ العلوم اللغوية المساعد
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع سوتير - الأزاريطة
الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وبعد ...

فان محور هذا البحث هو علم اللغة التقابلي درساً ومنهجاً ، أو موضوعاً وطريقة للبحث ، ويقصد بعلم اللغة التقابلي Contastive Linguistics (المقارنة) بين لغتين ليستا مشتركتين في أرومة واحدة ، كالمقابلة بين الفرنسية والعربية مثلا ، أو بين الانجليزية والعبرية مثلا آخر. أما إذا كانت المقارنة بين لغتين من أرومة واحدة كالعربية والعبرية مثلا ـ وهما من الأصل السامي ـ فهذا يدخل في مجال علم اللغة المقارن Comparative Linguistics (١) . وكلاهما ـ علم اللغة المقارن وعلم اللغة التقابلي ـ فرع من علم اللغة التطبيقي Applied Linguistics ؛ إذ يشمل إلى جانب هذين العلمين علم اللغة الاجتماعي Sociolinguistics وعلم اللغة النفسي Psycholinguistics وعلم المعاجم Lexicography وعلم اللغة الآلي Coputioral Linguistics ...(٢)

---

(١) الدكتور محمود حجازى : علم اللغة العربية ص ٢٠ وما بعدها . الكويت ١٩٧٣ .

David Cristal: Linguistics. pp 77 - 127: « Linguistic Science » الفصل الخاص بعلوم اللغة Penguin Books 1971 . = (٢)

والحقيقة أن هذه التقسيمات تختلف من لغوى إلى آخر ، فمنهم من يضع علم اللغة الاجتماعى ، وكذلك علم اللغة النفسى مستقلين عن علم اللغة التطبيق ويجعلونه مقصوراً على الاحصاءات اللغوية ثم إن هناك ما يسمى بعلم اللغة الاثنولوجى Ethnolinguistics ، أى علم اللغة الذى يتصل بشعب معين أو نسل معين (١).

S. Pit Corder : Introducing Applied Linguistics, P. 106 =
الفصل الخاص بـ « علم اللغة النفسى وتعليم اللغات
Psycholing uistics and Language Teaching P. 224
= والفصل الخاص بـ « دراسات علم اللغة التقابلى »
Contrastive Linguistics Studies
وانظر أيضا «الدكتور توفيق محمد شاهين» علم اللغة العام ص٢٨ وما بعدها مكتبة وهبة بعابدين مصر سنة ١٩٨٠

والدكتور على محمود فريد « علم اللغة العام فى الفكر الغربى ص ١٠ وما بعدها القاهرة سنة ١٩٧٨ .

ولم يذكر الدكتوران المراجع الأجنبية فى التقسيمات التى ذكراها ، فربما رجعا إلى المرجعين السابقين أو إلى غيرهما من المراجع .

(١) د. عبده الراجحى : اللغة وعلوم المجتمع ص ٨ الاسكندرية سنة ١٩٧٧ ، وفى هذا الموضوع يذكر علوماً أخرى غير علم اللغة الإثنولوجى . وانظر أيضاً د. محمد على الخولى فى معجمه « معجم اللغة النظرى » ص ٨٨ ط ٥ بيروت سنة ١٩٨٢ .

فهذه التقسيمات ليس لها معيار ثابت لا يتغير ، لأن علوم اللغة تلك فى تطور مستمر وتقدم دائم ، ولم تستقر على وجه واحد بعد .

وعلى أية حال فبجانب العلوم اللغوية التطبيقية التى ذكرناها توجد العلوم اللغوية النظرية كعلم الدلالة Semantics وعلم اللغة التاريخى Historical Lingusistics وعلم القواعد grammar [١] .

ويدل على أن هذه التقسيمات ليس لها معيار ثابت ، وأن مدلولاتها ربما تختلف من لغوى إلى آخر أمور منها :

١ ـ أن الدكتور على عبد الواحد وافى أشار فى كتابه (علم اللغة) الذى نشر حوالى سنة ١٩٤٢ إلى ما يعرف باسم (المورفولوجيا المقارن) « أى علم البنية المقارن » وهو الذى يدرس القواعد السابقة [٢] دراسة تاريخ وتحليل ومقارنة فى فصيلة من اللغات الإنسانية أو فى جميع اللغات [٣] ، وأشار أيضاً « إلى السنتكس المقارن » أى علم التنظيم المقارن وهو الذى يدرس قواعد التنظيم دراسة تاريخ وتحليل ومقارنة فى فصيلة من اللغات أو فى جميع اللغات » [٤] .

---

(١) علم اللغة العام ص ٣٠ وعلم اللغة العام فى الفكر الغربى ص ١٠ . والتقسيمات فى كل كتاب مختلفة عنها فى الكتاب الآخر .

(٢) يقصد البحث فى القواعد المتصلة باشتقاق الكلمات وتصريفها وتغير أبنيتها بتغير المعنى وما يتصل بذلك « علم اللغة ص ٦ » .

(٣) علم اللغة ص ٦ .

(٤) علم اللغة ص ٧ . وحديثاً جمعوا بين Morphology و Syntax فيما يعرف بالقواعد grammar بوجه عام .

وواضح أن هناك خلطاً فى هذا الكلام بين مجال علم اللغة المقارن ومجال علم اللغة التقابلى ، فالأول مجاله المقارنة بين لغتين من فصيلة واحدة والثانى مجاله التقابل بين لغتين مختلفتى الأصل .

ولا محل لأن نخطىء الدكتور وافى فالمفاهيم فى تغير مستمر كما قلنا من قبل .

٢ — ترجم الدكتور وافى أيضاً المصطلح الفرنسي Sociologie Linguistique إلى « علم الاجتماع اللغوى »[١] والمصطلح الفرنسى Psychologie du Language إلى علم النفس اللغوى[٢] فى حين أن هذين العلمين يعرفان الآن بعلم اللغة الاجتماعى وعلم اللغة النفسى أى أن التطور والتقدم اللذين حدثا فى علوم اللغة جعلا الدرس منصباً على اللغة، ثم تجىء كلمة الاجتماعى أو النفسى كصفة تابعة لهذا الدرس ، وليست متبوعة .

٣ — يظهر بعض الاضطراب فى علم اللغة التقابلى ومثله فى علم اللغة المقارن . هل هو علم أو منهج ؟ هل هو موضوع أو طريقة للبحث ؟ أو هو الاثنان معاً . إن المنهج الوصفى مثلا معروف أنه منهج ليس غير، وبواسطته نستطيع أن نبحث فى النواسخ الداخلة على الجملة الاسمية مثلا ، أو فى التقديم والتأخير فى الدرس النحوى مثلا آخر ، أو فى وظائف حروف المعانى مثلا ثالثاً . . . فالمنهج هنا غير الموضوع بدليل اختلاف الموضوعات وتعددها . أما إذا أجريت

---

(١) علم اللغة ص ٩ .

(٢) علم اللغة ص ١٠

(تقابلا) بين الانجليزية والعربية فى نظام الجملة ، وقلنا إن الجملة العربية تبدأ باسم يتلوه اسم وهو ما يعرف بالجملة الاسمية ، أو اسم يتلوه فعل وفاعل ، وهذه هى الجملة الاسمية المركبة ، أو تبدأ بفعل يتلوه فاعل وهذه هى الجملة الفعلية ، فى حين أن الجملة الانجليزية لا تبدأ إلا باسم متبوع باسم قبله أو متبوع بفعل ... فاننا فى هذه الحالة نكون قد استخدمنا التقابل اللغوى موضوعاً ومنهجاً ، أو قل طريقة للبحث ، وفى الوقت نفسه جزئية من جزئيات العلم الذى يعطى الإنسان معلومات لم يكن يعرفها من قبل. وأياً كانت هذه الجزئيات فهى تدخل تحت موضوع أعم وهو « علم اللغة التقابلى » .

أحب بعد هذا أن أرجع إلى موضوع البحث ، فهو - كما قلت - فى علم اللغة التقابلى موضوعاً ومنهجاً ، وقد قسمته إلى ثلاثة فصول بينت فى الأول منها بعض الملامح اللغوية المتشابهة بين اللغة العربية من ناحية ، واللغات الانجليزية والفرنسية والفارسية من ناحية أخرى ، كما بينت بعض الملامح اللغوية التى تختلف فيها اللغة العربية عن تلك اللغات. ولبيان أوجة التشابه والاختلاف فائدة عند تعلم الإنسان للغة ليست هى لغته الأم ، وقد تناول هذا الفصل أوجه التشابه والاختلاف فى الأصوات والمفردات والتراكيب .

ثم كان الفصل الثانى والفصل الثالث ، وإنما جمعتها هنا ؛ لأن بينهما تقابلا ، ذلك أن الفصل الثانى يتناول النحو التحويلى عند تشوسكى ومن تابعه من النحويين التحويليين . وقد كتب فى هذا النحو كثير من اللغويين مثل الدكتور نايف فرما فى كتابة (أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة) والدكتور محمد على الخولى فى كتابه (قواعد تحويلية للغة العربية) والدكتور عبده الراجحى فى كتابه (النحو العربى والدرس الحديث) والدكتور نهاد الموسى فى كتابه (نظرية

النحو العربي فى ضوء مناهج النظر اللغوى الحديث) والدكتور ميشال زكريا فى كتابه (الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية) هذا بالإضافة إلى اللغويين الغربيين ومؤلفاتهم التى جاء ذكرها فى ثنايا هذا البحث . ولست أزعم أننى أبزهم، أو أفوقهم علماً ومعرفة، ولكنى أظن أننى فصلت النحو التحويلى تفصيلا دقيقاً بمراحله الأربع ،وجئت بشواهد وأمثلة عربية تقربه إلى القارىء العربى ، ثم جئت بتطبيق عملى على بابين كاملين من أبواب النحو وهما المبتدأ والحال وذلك بأن عرضت القواعد النحوية التفصيلية لهذين البابين كما وصفها النحاة القدامى ثم حاولت تطبيق قواعد النحو التحويلى عليها. وقد كان اختيارى لهذين البابين راجعاً إلى أن باب الابتداء ربما كان الباب الوحيد الذى نجد فيه مجالا للدرس التحويلى ، وهذا يرجع إلى سببين :

١ — الأول أن معظم الدراسات فى هذا الباب تتعلق بالحذف والإضافة والتقديم والتأخير ... وهذا مجال النحو التحويلى .

٢ — الثانى أن الابتداء يعنى الجملة الاسمية المبدوءة بالاسم ، وهذا يتفق مع التراكيب الأساسية التى وصفها التحويليون والتى تبدأ دائما بالعبارة الاسمية Noun Phrase. N. P .

أما باب الحال فيبين لنا قصور الدرس التحويلى عن الإلمام بكل القواعد التى يطرحها الدرس النحوى التقليدى، وليس هذا الباب وحده هو الذى يظهر فيه قصور النحو التحويلى، بل إن هناك أبواباً كثيرة يتجلى فيها هذا القصور وما كان اختيارنا لهذا الباب إلا كنموذج للأبواب جميعاً .

ومن ثم فأظن أننى أول من هاجم النحو التحويلى ، وبين قصوره بالأدلة

والبراهين ورأيت فيها زخرفاً من القول لا جدوى من ورائه ولا منفعة .

ولقد رأينا أن نظرية النحو التحويلي تطوف ما تطوف ثم تستقر على مركزين :

الأول : الأصلية أو ما يعرف بالتركيب الباطني ومقياسها الكفاءة أو القدرة على اللغة .

الثاني : الفرعية أو ما يعرف بالتركيب السطحي أو الظاهري ويمثلها الأداء الفعلي للكلام .

فالأصلية والفرعية إذن محورا النظرية عندهم . فماذا عن الأصلية والفرعية في الدرس النحوي العربي ؟ كانت الإجابة عن هذا السؤال هي موضوع الفصل الثالث ، أي أن هناك تقابلا - كما قلنا - بين الفصل الثاني والفصل الثالث موضوعه الأصلية والفرعية عند اللغويين الغربيين وعند نحاة العربية . وقد بينا في هذا الفصل عالمية التراكيب عند العرب والفرق بينها وبين عالمية التراكيب عند التحويليين ، ثم بينا الأصل والفرع في كل من الأبواب النحوية والصرفية الآتية :

١ - المذكر والمؤنث

٢ - النكرة والمعرفة

٣ - المفرد والمثنى والجمع

٤ - الفعل والمصدر

٥ - التصغير

٦ — القلب المكانى وما يتصل به من إعلال وإبدال مع الإشارة فى كل مناسبة إلى التقابل اللغوى بين العربية من ناحية وبين اللغات الأخرى التى اتخذناها ميداناً للتقابل من ناحية أخرى .

هذه هى الفصول الثلاثة مترابطة وكل فصل يؤدى إلى الذى يليه .

وبعد فهذا مبلغ جهدى ، وهو عمل خالص لوجه الحق ، وقد خطوت فيه خطوات على أول الطريق ، ولعل اللاحقين يكملون الطريق .

الاسكندرية
فى ديسمبر ١٩٨٣

أحمد سليمان ياقوت

الفصل الأول

ملامح عامة

ملامح عامة

نحاول فى هذا الفصل وضع علم اللغة التقابلى موضع التطبيق العملى . ولنأخذ اللغات الإنجليزية والفرنسية والفارسية من ناحية، وهى من اللغات الهندوأوربية[1] واللغة العربية من ناحية أخرى ، وهى من اللغات السامية مجالا لهذا التطبيق .

ولا نقول فى مجال هذه المقابلة « إن العربية هى أشرف اللغات وأعظمها وأنها جمعت أطراف المحاسن ، ونظمت أشتات الفضائل » كما قال الثعالبى [2] ، ولا نقول مع السيوطى « إن آدم عليه السلام كانت لغته فى الجنة العربية ، فلما عصى سلبه الله العربية ، فتكلم السريانية، فلما تاب رد عليه العربية » [3] إلى آخر هذه الأقوال التى لا تثبت على محك التحرى والتمحيص ، والتى تدل على التحيز الواضح الذى يأباه المنهج الوصفى الذى التزمنا به فى بيان المقابلة .

أول ما يتبادر إلى الذهن من فروق صوتية أن العربية لا يبدأ فيها بالساكن وهذه القاعدة هى التى بنعت عليها فكرة همزة الوصل وهمزة القطع ؛ فما كان أوله متحركا من الكلمات المبدوءة بالهمزة كانت همزته همزة قطع ، كالفعل

---

(١) ونلاحظ أن الفرنسية من الفرع الرومانى ، أما الإنجليزية فمن الفرع الجرمانى .

(٢) أبو منصور الثعالبى . فقه اللغة وسر العربية ط . الحلبى ١٩٧٢ ، مقدمة المؤلف ص ٢١ .

(٣) جلال الدين السيوطى . المزهر ص ٣٠ ط الحلبى دون تاريخ .

الماضى الرباعى : أعرب ، أكرم ، ... وكأسماء الأعلام : أحمد ، إسماعيل ، وكالأفعال الثلاثية المبدوءة بالهمزة نحو أخذ ، أكل . أما ما كان أوله ساكناً فلابد حينئذ من همزة وصل ، وهى التى يتوصل بواسطتها إلى النطق بالحرف الأول الساكن مثل : استنتج ، انطلق ويتفق مع هذا الأسماء العشرة التى سمع عن العرب أن همزتها همزة وصل ، فهى جميعها تبدأ بالساكن نحو : ابن ، واثنان وامرأة واسم .. ويدل على صحة ذلك أيضاً أننا نحذف التنوين من الاسم الذى يضاف إلى (ابن) ، لأن التنوين حرف متحرك وقع بعده حرف ساكن [1] . أما فى اللغة الانجليزية فنجد كلمات كثيرة تبدأ بالساكن مثل station , bring , stay , Small ، دون حاجة إلى حرف قبل (s) أو (b) لكى يتوصل بواسطته إلى النطق به ، وهذا يسبب صعوبة بالغة لمن يتعلم اللغة الإنجليزية من غير الناطقين بها ، إذ تراه مضطراً إلى النطق بالهمزة قبل الحرف (s) فيقول استاشن ... أو مضطراً إلى كسر حرف (b) فى Lring فيقول بريج . وربما قطع الهمزة فى قوله إستاشن وإستاى .

وغير بعيد عنا أيضا فى هذا المجـــال أن فى العربية حروفا لا نظير لها فى الإنجليزية كالحاء التى ينطقها الإنجليزى هاء ، والخاء التى ينطقها كافا فيها إشمام بسيط من الخاء . وكذلك حرف الضاد ــ الذى سميت به العربية ــ لا وجود له

---

(١) سيبويه : الكتاب جـ ٢ ص ١٤٧ ط المثنى ببغداد ، ويقصد سيبويه بذلك أن الحرف المنون يتكون من حركة فساكن ، والساكن هذا إذا تلاقى مع ساكن بعـــده وهو الذى يقع فى أول كلمة (ابن) حذف حتى لا يلتقى ساكنان .

فى الانجليزية ، ولا فى الفرنسية ، وما الضاد إلا دال مفخمة فاذا نطق بها الإنجليزى أو الفرنسي أزال عنها التفخيم ، و نطقها دالا ، أما حرف الغين فيكتب فى الإنجليزية (gh) إذا أردنا أن نكتب كلمة مثل (غانم) والعين ينطقها الإنجليزى همزة .

وفى الإنجليزية نجد رمزاً خطياً واحداً يرمز إلى صوتين مختلفين وهو الرمز (X) يرمز إلى الحرفين : الكاف والسين ، ونجد فيها العكس أيضاً فالرمزان TH يدلان على صوت واحد وهو الذال ، وكذلك SH يرمزان إلى إلى الشين ، كما نجد رمزين خطيين CH يرمزان إلى صوتين تش . ولا نجد هذه الظاهرة فى اللغة العربية ؛ فكل رمز فيها له صوت ، وكل صوت يدل عليه رمز ، لا يتعدد هذا ولا ذاك .

والتمييز بين التاء والطاء مما يخطىء فيه الإنجليزى والفرنسى المتعلمان للعربية فتراهما ينطقان الطاء مخففة ، فتقلب إلى تاء ، ذلك أن لغتيهما تخلوان من (الطاء) فيقولان (تويل) ويقصدان (طويل) ، و (تائرة) يقصدان (طائرة) .

وفرق صوتى آخر بين اللغتين سبب صعوبة على الدارس والمدرس كليهما هو أن فى الإنجليزية كلمات بها عدد من الرموز الصوتية التى لا ينطق بها أى أن الحروف المكتوبة أكثر عدداً من الحروف المنطوقه ، نحو كلمتى write, daughter ونجد هذه الظاهرة معكوسة فى العربية ، فاسما الإشارة هؤلاء وهذا دون ألف بعد الهاء ، ومع ذلك تنطق الهاء وبعدها مد بالألف . وأكثر من ذلك أن هناك رموزاً صوتية فى الإنجليزية تنطق برموز أخرى

غير المكتوبة ، فكلمة colonel مثلا تنطق (كارنيل) و Lieutenant تنطق لفتانت)[(١)] .

كانت هذه أمثلة لبعض الفروق الصوتية بين العربية والإنجليزية ، وهناك فروق أخرى بينهما - كالشدة والتنوين وال الشمسية وال القمرية - لا نرى داعياً لذكرها خشية الإطالة ، ولأن هناك فروقا فى مجالات أخرى غير المجال الصوتى نود أن نتعرض لها كالمفردات والتراكيب .

أما عن المفردات فنجد فى الإنجليزية كلمة uncle دالة على العم أو الخال أوزوج العمة أو زوج الخالة ، دون التفريق بين هذه الدلالات كلها ، ومثلها فى ذلك كلمة oncle الفرنسية . والكلمة الإنجليزية aunt والفرنسية tante لها المعانى التى ذكرت ولكنها للمؤنث . وكلمة nephew الإنجليزية وneveu الفرنسية لابن الأخ أو الأخت ، وكلمة niece الانجليزية و niéce الفرنسية لابنة الأخ وابنة الأخت . [(٢)] كل ذلك دون تفريق بين ما يعزى إلى المذكر وما يعزى إلى المؤنث بعكس العربية التى تضع الدلالات المختلفة للمدلولات المختلفة ، وتفرق بين ما كان راجعاً فى قرابته إلى المذكر وما كان راجعاً إلى

---

(١) أنظر فى ذلك :

The advaneed learner,s dicionary of current English. Second edition. London Exford.

(٢) المرجع السابق ، وانظر بالنسبة للغة الفرنسية :

Belot: Classique Petit dictiommaire Francais - Arabe : Imprimerie Ceiltholique Beyrouth 1956.

المؤنث . وهذا بلا شك يثير انتباه الدارس للعربية من غير أبنائها ، وتكون المسألة عنده أصعب بكثير عما هي في لغته .

وربما كان للمدلول الواحد فى الإنجليزية عدد من الكلمات كقولهم his sou in low «ابنه فى القانون» وهم يعنون بذلك مدلولا واحداً فى العربية وهو (صهره) ، وعكسها his father in low تعنى فى العربية حماه . ونجد هذه الظاهرة فى الأفعال أيضاً ، فالفعل (يودع) ، وهو لفظ مفرد ، يقابله فى الانجليزية to say Good Bye وفى الفرنسية dire adieux ، وكذلك الفعل (يصافح) فى العربية تعبر عنه الإنجليزية بعدة كلمات : to shaks hands with ، والفرنسية serre la main à .

ومن تقابل اللغات ما نلحظه فى « المفردات التى تقتبسها لغة ما من غيرها من اللغات يتصل معظمها بأمور قد اختص بها أهل هذه اللغات أو برزوا فيها أو امتازوا بانتاجها أو كثرة استخدامها .. وعن هذا الطريق انتقل إلى اللغات الأوربية كثير من الكلمات العربية الدالة على منتجات زراعية أو صناعية : كالليمون ، والموصلى (وهو نسيج خاص ينسب إلى الموصل) ، والزعفران والشراب ، والسكر ، والكافور ، والقنوه (عسل قصب السكر المجمد) والقهوة والقطن والقرمزى ، والكمون ، والدمشق (نسيج ينسب إلى دمشق) :

« فى الانجليزية

Lemon, muslin, saffron, sherbet, Syrup, sugar, camphor, candy, coffee, cotton, crimson, cumin, damask.

« وفى الفرنسية

Limon, mousseline, safarm, sorbet, sirop, sucre, camphre, candi, café coton, cramorisi».[1]

ومما يلفت نظر الدارس فى هذا المجال أن فى العربية إفراداً وتثنية وجمعاً. أما فى الانجليزية والفرنسية فيوجد الإفراد والجمع ، ولا توجد التثنية التى يتوصل إليها باستعمال العدد deux ، two قبل المعدود.

وإذا انتقلنا إلى التراكيب وجدنا فيها فروقاً شاسعة ، منها ما يتعلق بالتركيب الإضافى ، ولن نخوض فى تعريف الإضافة المحضة وغير المحضة ، فهذا ما لا نظير له فى اللغتين الانجليزية والفرنسية ، ولكننا نشير فقط إلى أن التركيب الإضافى فى اللغة العربية يتم بوضع المضاف ويليه المضاف إليه مثل « نجوم السماء » و « صفحات الكتاب » وهذا غريب على من يتعلم العربية من غير أبنائها ، إذ إن اللغة الانجليزية تستعمل الحرف (of) بين المتضايفين The book of Ahmed أو يذكر المضاف إليه أولا ثم يتبعه الحرف (s) وأخيراً يأتى المضاف نحو Ahmed' s book[2]، والفرنسية كالانجليزية فى

---

(١) علم اللغة للدكتور على عبد الواحد ص ١٩٧٧ و ١٧٩ ط ٢ النهضة المصرية ١٩٤٤ م .

(2) English grammar , past and present. by Nesffield P. 16 Macmillan and com. 1931.

ويلاحظ أن الـ opostrophe وضعت عوضاً عن حرف (e) فقد كانت علامة الإضافة فى الإنجليزية القديمة (s) .

استعمالها حرفاً بين المتضايفين وهو (de) أو ما اشتق منه على حسب التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع فى المضاف. ونلاحظ فى هذا الصدد أن العوام عندنا يستبدلون كلمة (بتاع) بين المتضايفين بالحرف of فى الانجليزية و de فى الفرنسية .

ومما يلفت النظر فى التراكيب، ويدخل حقاً فى المجال التطبيقى لعلم اللغة التقابلى – تركيب الجملة فى كل من اللغة العربية من ناحية، واللغتين الانجليزية والفرنسية من ناحية أخرى . فاللغة العربية لا تستعمل لفظاً يربط بين المبتدأ والخبر . بل يأتى المبتدأ متلوا بالخبر ليس غير ، بعكس اللغتين الانجليزية والفرنسية اللتين تأتيان بالمبتدأ subjecl وبعده الرابطة coupla ثم يليها الخبر predicoate، والرابطة فى الانجليزية فعل الكينونة (v. to be) وكذلك فى الفرنسية (v. étre) ، فيقال مثلا فى ترجمة (الولد مؤدب)

«The boy is plite» «Le gerçon cst poli»

ويلاحظ جون ستيوارت مل أن هاتين الجملتين (الانجليزية والفرنسية) جاءتا على نسق المنطق الأرسطى الذى تتكون الجملة فيه من موضوع ومحمول وبينها الرابطة [١] .

ويعلل الدكتور عثمان أمين لهذا الاختلاف فى اللغتين تعليلا يشبه تعليل السيوطى والثعالبى عندما قالا بأن اللغة العربية أشرف اللغات وأعظمها قدراً

---

(1) John Stuart Mill, System of Logic P. 43 Longman 1941 .

و .... يقول الدكتور عثمان « إن الإسناد فى اللغة العربية يكتفى فيه إنشاء علاقة ذهنية بين (موضوع) و (محمول) أو مسند إليه ومسند ، دون التصريح بهذه العلاقة نطقاً أو كتابة ، فى حين أن هذا الإسناد الذهنى لا يكفى فى اللغات الهندو أوروبية إلا بوجود لفظ مسموع أو مقروء يشير إلى هـذه العلاقة فى كل مرة (وهو فعل الكينونة) فى اصطلاحهم ، ويسمونه فى تلك اللغات رابطة »[1].

وهذا التعليل فيه جنوح عن الموضوعية وبعد عن المنهج الوصفى والأولى أن يقال إن « الضمة علم الإسناد ، وبذلك يكون التنوين على آخر المسند إليه دليلاً على أن ما بعده خبر عنه »[2] .

والحقيقة أن (الرابطة) هذه قد أثارت كثيراً من المناقشات بين المناطقة والنحويين ولا مجال لسردها لكى لا نخرج عن موضوع البحث[3].

---

(١) فلسفة اللغة العربية للدكتور عثمان أمين ص٢٥ الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٥. ويظن أن قوله هذا مأخوذ من قول الساوى فى البصائر النصيرية ص ٥٢ .

(٢) الاستاذ ابراهيم مصطفى · إحياء النحو ص ٥٠ لجنة التأليف والترجمة سنة ١٩٥١ م.

(٣) انظر مثلا اللغة لفندريس ترجمة القصاص والدواخلى ص١٦٥ مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٥٠ ، John S. M. System of Logie P 49 =

هذا كله عن الجملة الاسمية فاذا أتينا إلى الفعلية وجدناها في العربية فحسب دون اللغتين الأخريين اللتين تبدءان دائماً بالفاعل أو المسند إليه subject ؛ وهنا تظهر النظرة التعصبية عند المستشرقين أيضاً ، كما ظهرت عند الثعالبي والسيوطي وغيرهما ؛ إذ يرجع المستشرقون سبب تأخير الفاعل في العربية إلى : —

أ — نوع من القدرية الشرقية التي تحيل كل شيء إلى الغيب » فالعرب يؤمنون بالغيب ، ولا يعرفون من الفاعل (II) لذلك أخروه .

ب — ضعف الشعور بالثبوت للشخصية الإنسانية عند الشرقين ، وقوة ثبوتها عند الأوربيين وملازمتها لتفكيرهم، ومن ثم يظهر غلبة الجملة الاسمية على ألسنة الأوربين وغلبة الجملة الفعلية على ألسنة الناطقين بالضاد [١].

وهذا بعد عن المنهج الوصفي وبعد عن الموضوعية العلمية والأولى أن يقال إنه « ليس من اليسير التعليل لمثل هذا المسلك اللغوى في ترتيب الكلمات وتنظيمها ، بل ليس من الهين أن يقال لم اتخذت هذه اللغة ذلك النظام المعين الذي قد يخالف ما جرت عليه لغة أخرى شقيقة لها ، وذلك لأن ترتيب

= والمنطق الصورى للدكتور على سامي النشار ص ٢٨١ دار المعارف سنة ١٩٦٩ التطور النحوى لبرجستراسر ص ٨٣ .

(١) أشتات مجتمعات للعقاد ص ٥٦ وما بعدها بتصرف دار المعارف سنة ١٩٦٨ م .

الكلمات في كل لغة ليس إلا إحدى تلك العادات اللغوية التي تتميز بها هذه اللغة ، وهو بعد أن يستقر على صورة معينة ليس إلا وليد تطور طويل المدى ونتيجة مرور قرون كثيرة على هذه اللغة . ومن الصعب الوقوف على كل الظروف اللغوية أو الاجتماعية التي ساهمت في مثل هذا التطور حتى صار نظام الجملة على ما نألفه ونعهده في كل لغة »[1] .

وليس الأمر مقصوراً على فعل الكينونة فقط بل يتعدى في اللغة الفارسية إلى ترتيب الكلمات نفسها داخل الجملة ، حتى إن العربي إذا أراد أن يفهمها ، اضطر إلى فك هذا التركيب ويعيده على نسق الجملة العربية حتى يستطيع فهمه ، فالجملة الفارسية « أما جون ديد كه طوطي جز آن يك لفظ هيج جيز ديكر نميداند بشيمان شده » إذا ترجمناها إلى العربيـة محافظين على الترتيب نفسه للكلمات في الفارسية لكانت الترجمة كالآتي «ولكن عندما رأى أن الببغاء عدا ذلك واحداً لفظاً مطلقاً شيئاً آخر لا تعلم نادما صار » .

وواضح أن هذا الترتيب في العربية يعد عبثاً أو لغواً لا يؤدي إلى فهم شيء ، ومن ثم يضطر غير الفارسي إلى إعادة هذا الترتيب حسب النسق الذي تعود عليه حتى يستفيد معنى منه : فنقول العربي « ولكن وعندما رأى أن الببغاء لا تعرف شيئا آخر إطلاقاً عدا ذلك اللفظ الواحد صار نادما »

---

(١) من أسرار اللغـة للدكتور ابراهيم أنيس ص ٢١٠ مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٥٠ .

(٢) النصوص الفارسية: د. طه ندا ص ١٠٩ دار المعارف سنة ١٩٧٨ .

ويقول الانجليزى :

But when he saw that parrot does not know another word at all except this single word, he became sorry.

ويقول الفرنسى :

Mais quand il voyait que le perroquet ne connaissait pas autre chose que ce mot seul, il devenait malheureux.

ويلاحظ اختلاف التركيب فى اللغتين الانجليزية والفرنسية رغم أنهما من الفصيلة نفسها التى تتبعها الفارسية

وبدء الجملة فى الإنجليزية والفرنسية بالاسم subject دائماً يسبب صعوبة للدارس لهاتين اللغتين ممن كانت اللغة العربية هى اللغة الأم له . وعندئذ يلجأ المعلم لهاتين اللغتين إلى تقسيم يفرق به بين الاسمية وما يشبه الفعلية فى اللغة العربية وهذا التقسيم يضع الجملة التى فيها الفعل (to be) أو الفعل (éter) كرابطة ، بازاء الجملة الاسمية عندنا نحو Mohamed est poli . M. is courageous . أما إذا كان الفعل فى الجملة فعلا آخر غير فعل الكينونة فهى، بازاء الفعلية فى العربية نحو

Ali parle â le professeur. M. plays. football.

يبقى بعد ذلك أن نفصل القول فى الاختلافات الواضحة بين حالات الاسم والفعل الإعرابية عندنا ، وبين حالات الاسم cases وصيغ الفعل modes فى اللغة الانجليزية [١]. فقد ظن نالينو ـ وهو من المستشرقين أن ليس هناك

---

(١) ظاهرة الإعراب فى النحو العربى للدكتور أحمد سليمان ياقوت ص ٣٠. الرياض ١٩٨١ .

اختلافات ، وأن كلمة case، تطلق على حالة الإعراب كالرفع والنصب والجر فى الأسماء ، وأن كلمة mode تطلق على حالات التصريف كالمرفوع والمنصوب والمجزوم في الأفعال ، وعليه يكون عند نحاة العرب الاصطلاح الذى يقابل هاتين الكلمتين فكلمة case هى لقب الإعراب وكلمة mode هى الصيغة (١) .

ونرى أن الصواب قد جانب فالينو ، إذ إن هناك تبايناً واضحا بين مدلول كلمة case و mode فى الانجليزية وبين حالات الاسم والفصل الإعرابية فى اللغة العربية .

أما حالات الاسم cases فى الانجليزية فهى :

١ – nominative وهى حالة إسناد الاسم أو فاعليته ومن الخطأ تسميتها بحالة الرفع نحو Rain falls .

٢ – Vocative وهى حالة النداء نحو

Are you coming, my friend.

٣ – accusative وهى حالة المفعولية ومن الخطأ تسميتها بحالة النصب نحو The man killed a rat الرجل قتل فأراً (مفعول الفعل)

---

(١) دائرة المعارف الإسلاميه ترجمة ونشر دار الشعب ج ٢ ص ٥٤٢ ويقابل فى الأصل باللغة الانجليزية .

The Encyclopaedia of Islam V. 2 P. 511.

The earth is moistened by the rain بلت الأرض بالمطــــر
(مفعول الحرف)

٤ - dative وهي حالة المفعولية غـــير المباشرة نحـــو
I gave the boy a penny أعطيت بنساً للصبي .

٥ - Genitive وهي حالة الملكيـة نحـو Man's house [1]
بيت الرجل .

« أما في اللغـة العربية فيوجد حركات للاسم من نصب ورفـع وجر ؛ ويدخل تحت كل حركة من هذه الحركات معان وظيفية كثيرة فالنصب يدخل تحته المفعولات بأنواعها والمستثنى والتمييز والحال . والرفـع يدخل تحته المبتدأ والخبر والفاعل ونائب الفاعل . والجر يدخل تحته الإضافـة والجر بالحرف . ولنقارن الجر بالحرف عندنا نحو (بللت الأرض بالمطر) بالمفعول به للحرف في الانجليزية في المثـال The earth is moistened by rein لنتبين مدى الظلم الذي ألحقناه بكلتا اللغتين في هذه المقارنة . ولننظر أيضاً حالة النداء في الانجليزية التي تعتبرها حالة منفردة بينما هي تدخل عندنا في المنصوبات وحالة المفعوليـة غـير المباشرة dative في المثـال I gave the boy a penny ، فهي عندنا من باب نصب المفعول به ومنه المثال الذي كنا نتعلمه من قديم (أعطت الفقير قرشاً) .

---

(1) Nesfielb, Engliòh Brammar. p. 16.

« كل هذا يبين لنا أن التوفيق قد جانب نالينو عندما قال إن نحاة العرب عندهم ما يقابل الاصطلاح « case » . (١)

وصيغ الأفعال فى الانجليزية تغاير تماماً حالات الفعل عندنا ، فصيغ الأفعال mades هى :

١ – indicative صيغة الإخبار أو صيغة الحقيقة (fact) وتستعمل للتأكيد أو للسؤال عن شيء يعتبر حقيقة نحو He cames هو يأتى ، أو He came هو أتى، أو He will come هو سيأتى ، أو will he come ألن يأتى . ونلاحظ أن هذه الصيغة لها الأزمنة الثلاث ، ماض ومضارع ، ومستقبل .

٢ – Imperative وهو صيغة الطلب أو الأمر volition نحو come thou تعال أو لتحضر .

٣ – Subjunctive وهو صيغة الشك أو الافتراض نحو if be comes (٢).

ونلاحظ أن هذه الصيغ الثلاثة مغايرة تماماً لحالات الفعل عندنا من رفع ونصب وجزم ، فالصيغة الثانية وهى الأمر Imperative تنضوى تحت الجزم

---

(١) ظاهرة الإعراب فى النحو العربى ص ٣٢ .

Nesfield , English granmer p. 57 (2)

عندما وفيها أيضاً النفي بلم، والنهي وفعل الشرط وجوابه وهذان يدخلان تحت الصيغة الثالثة في الانجليزية Subjonctive .

ويزداد الأمر على المتعلم صعوبة بتقسيم كل من هذه الصيغ في اللغة الفرنسية إلى أزمنة متعددة نحو الماضي المركب le passé composé والماضي الناقص L'imperfait والماضي التام Le plus que parfait والماضي البسيط Le passé simple . فأين كل هذه الصيغ من الأزمنة العربية ماض ومضارع وأمر [١] . لا شك أن الأمر هنا يحتاج إلى وقفة طويلة من المعلم والمتعلم كليهما حتى يستطيع الأول أن يفهم الثاني هذه التقسيمات كلها .

وبالرغم من تعدد الأزمنة في اللغة الفرنسية نجدها تفتقر إلى ما يسمى بصيغة الاستمرار continious ، وهذه الصيغة موجودة في العربية في مثل (أخذ محمد يبكي) و (مازال محمد يبكي) وأفعال الاستمرار هذه أفعال مساعدة وليست أصلية في الجملة ، وهي أيضاً منفصلة في الكتابة عن الأفعال الأصلية

---

(١) هذا مع العلم بأن السياق في الجملة العربية وكذلك استعمال الفعل كان سيفعل ، وكان فعل ، وقد كان فعل يعطيان الجملة أشكالا متعددة من الأزمنة كما لاحظ ذلك الدكتور تمام حسان في كتابه « مناهج البحث في اللغة » ص ٩٧ الانجلو المصرية ١٩٥٥ . وقد تناولنا هذا الموضوع مفصلا في رسالة الماجستير النواسخ في كلام العرب ص ٦١ وما بعدها مخطوطة بآداب الاسكندرية برقم ١١١ سنة ١٩٧١ .

بعكس اللغات الهندوأوربية ، ففى الانجليزية مثلا يضاف ing فى نهاية الفعل المراد وضعة فى زمن الاستمرار ويكون قبله فعل to be ، وفى الفارسية نجد أن الفعل المراد وضعة فى زمن الاستمرار يضاف إلى أوله ميم وباء ، أما فى الفرنسية فيبدو أنهـا استعاضت عن صيغـة الاستمرار بصيغة اسم الفاعل participe présent ومنها قولهم « Apprenez le francais en chantant » تعلم الفرنسية مغنياً . ونجد عند الكوفيين شيئاً قريباً من هذا كما لاحظ د. مهدى المخزومى ، فلقد أطلقوا على (اسم الفاعل) كلمتى (الفعل الدائم) permansif ، أى الذى فيه شبه الاستمرار »[١].

وقبل أن نختتم هذا الفصل نود أن نشير إلى فرق ملحوظ بين العربية من ناحية والانجليزية والفرنسية من ناحية أخرى ، ذلك أن العربية لغة معربة بعكس اللغتين الأخريين ، ويترتب على ذلك أن ترتيب الكلمات فى العربية لا أثر له ما دامت الكلمات معربة[٢] ، فليس هناك إبهام إذا أخرنا الفاعل وقدمنا المفعول كقوله سبحانه وتعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء »[٣] وكمثال صاحب الألفية فى باب الفاعل « خاف ربه عمر » أما فى الانجليزية والفرنسية فان ترتيب الكلمات وموقع كل كلمة هما اللذان يحددان معنى الجملة

---

(١) النواسخ فى كلام العرب ص ١١٨ ، ومهدى المخزومى فى كتابه مدرسة الكوفة ص ٣٣٧ الحلبى ١٩٥٨ .

(٢) لا نقصد بذلك الأثر البلاغى بل نقصد المعنى المجرد .

(٣) آية ٢٨ من سورة فاطر .

يقول فندريس « أما القرينة الوحيدة التى تقدمها الفرنسية فهى ترتيب الكلمات .... لذلك يمكننا أن نغير فى اللاتينية وضع كل كلمة من الكلمات الثلاث كما نشاء دون أن نمس وضوح الكلمة بأدنى ضرر[1]. أما فى الفرنسية فيستحيل أن نمس نظام الكلمات دون أن نغير المعنى ، فلو قلنا فى الفرنسية Paul freppe Peirre بول يضرب بيير بدلا من Peirre frappe Paul بيير يضرب بول لارتكبنا نفس الغلطة التى نرتكبها فى اللاتينية لو أخطأنا فى استعمال الإعراب فقلنا Paulus caedit Petrum بولص يضرب بطرس بدلا من « Paulum Caedit Petrus »[2].

وبعد فلعلنا فى هذه المقابلة نكون قد أوضحنا بعض نقاط الخلاف والتشابه بين العربية من ناحية وبين بعض اللغات التى الفصيلة الهندوأوربية من ناحية أخرى مما يدخل فى النطاق العملى لعلم اللغة التقابلى .

(١) لأن اللاتينية – كما أشار فندريس من اللغات المعربة ، والكلمات الثلاث هى الفعل والفاعل والمفعول .

(٢) اللغة ص ١١٢ ترجمة د. القصاصى والاستاذ الدواخلى الانجلو سنة ١٩٥٠ .

الفصل الثانى

النحو التحويلى

النحو التحويلي
دراسة وتحليل

تعزى هذه النظرية – نظرية النحو التحويلي – إلى اللغوي الأمريكي أفرام نوم تشومسكي Avram Noam Chamsky المولود في فيلادلفيا عام ١٩٢٨ وملخصها أن هناك تركيبات أساسية تشترك فيها اللغات جميعا، وأن وظيفة القواعد التحويلية هي تحويل تلك التراكيب الأساسية Deep Structres إلى تراكيب سطحية Surface Structres وهي التراكيب المنطوقة فعلا ويسمعها السامع(١). وبمعنى آخر فإنها القواعد التي تضفي على كل جملة تولدها تركيبين: أحدهما باطني (أساسي) والآخر ظاهري (سطحي) وتربط بين التركيبين بنظام خاص (٢).

والتركيب الباطني أو الاساسي أو البنية العميقة عند تشومسكي هو المعنى الكامن في نفس المتكلم بلغته الأم، ومقياسه للقدرة أو الكفاءة competence التي تتكون في الفرد، وتجعله يعبر عما في باطنه بجمل عديدة لم يسمعها من قبل. وهذه المقدرة تولد مع الطفل، وتمكنه من تعلم أية لغة في العالم (٣).

---

(1) Rodney Hnddleston: An Introduction to English Transformational Syntax Longman Paperlack 1976. pp. 44—49.

(2) John Leons: Introduction to Theoritical linguistics (C. U. P.) 1968 p. 248.

(٣) نايف خرما أضواء على الدراسات اللغوية الحديثة ص ١١٩ . سلسلة عالم المعرفة الكويت ط ٢ ١٩٧٩ .

ثم إن هذه الكفاءة أو المقدرة على اللغة هي التي يتم بواسطتها أداء Performance جمل عديدة عن المعنى الباطني . وهذه الجمل ماهي إلا مظهر سطحي أو تركيب سطحي لذلك المعنى الباطني . والكفاءة أو المقدرة الطريقة إذن هي التي يقاس بها التركيب الباطني ، أما البنية السطحية فيمثلها الأداء الفعلي للكلام . (١)

وربما كان تشومسكي – في قوله بالمقدرة على اللغة الكامنة في الإنسان التي تمكنه من إستيعاب اللغة والنطق بعبارات لم يسمعها من قبل – ربما كان متأثراً في ذلك بالمفكر الفرنسي ديكارت الذي يرى أن أهم فرق بين الإنسان والحيوان هو مقدرة الأول على اللغة وترتيب الكلمات في طرق مختلفة ، لكي يعبر بها تعبيراً لائقاً عن أي شيء يقال في حضوره ، حتى إن كان (أي الانسان) في أدنى مراتبه ، في حين أن الحيوان لا يستطيع أن يفعل ذلك مهما بلغت درجته من الكمال ، ومهما ساعدته الظروف المحيطة به . (٢)

وربما كان متأثراً أيضاً بالعالم الألماني Müller المتوفى عام ١٩٠٠م ، فقد ذكر في الدرس التاسع من كتابه علم اللغة أن الفضل في نشأة اللغة يرجع إلى غريزة زود بها الإنسان في الأصل للتعبير عن مدركاته بأصوات مركبة ذات مقاطع ، كما زود باستعداد فطري للتعبير عن انفعالاته بحركات جسيمة وأصوات بسيطة . (٣)

---

(1) R. Huddleston: op. cit. pp. 1—3.

(2) Decartes: The philosophical works of Decartes, Translated by Haldene and Ross, Dover Publication, New York 1955 p. 117.

(3) Max Müller, La science du langage. 9 eme leçon, Trade. Harris et Perrot. Paris. 1867.

وعلى سبيل المثال فان الطفل عندما يرى حدثا أمامه يستقر فى نفسه معنى هذا الحدث لغوياً ومغلفاً بالمفردات ؛ فهذا هو التركيب الباطنى . والكفاءة أو القدرة على اللغة هى التى جعلت هذا التركيب يستقر فى نفسه ، وهذه القـدرة إنما هى جزء من مكوناته البيولوجية . ثم إنه ليعبر عما استقر فى نفسه ، أى يؤديه فى جملة أو جمل ؛ أى ينقله أو يحـوله إلى بنية سطحية ، وهـذه البنيـة السطحية يمثلها الأداء .

والطفل فى العملية الأولى (التركيب الباطنى التمثل فى المقدرة) إنما يكون اعتماده على الحدس intution أو الإلهام [1] ، لأن تشومسكى ينكر العوامل الخارجية التى قال بها أنصار المدرسة السلوكية فى التعبير اللغـوى والتى كانت تقصر دراستها على المظـاهر الحسية للسلوك البشرى [2] ، وكانوا يرون أن اللغة لا تعدو أن تكون مجموعة من العادات السلوكية مثلها فى ذلك مثل أية مادة سلوكية أخرى ؛ ولذلك فقد أهملوا دراسة المعنى ؛ لأنه لا يخضع للمنهج العلمى الذى يهتم بدراسة الأشياء الظاهرة فقط أو الماديات . [3]

أنكر تشومسكى كل ذلك [4] ورأى أن اللغة إنما هى جهاز محكوم بقواعد

---

(١) يعنى أنها القوة الكامنة فى خلق الطفل، ولا علاقة لها بالمؤثرات الخارجية المحيطة به .

(٢) نايف خرما : أضواء على الدراسات ص ١٧٤ .

(٣) السابق ص ١١١ .

(٤) إنكار تشوسكى لتلك الآراء تجده فى رده على صاحبها B.F. Skinner فى مقال له فى المجلد ٣٥ العدد الأول (يناير – مارس سنة ١٩٥٩) من مجلة =

معينة [١] ينبغي إكتشافها ، وأن العلاقات بين أجزاء الجملة الواحدة أعمق بكثير من تلك العلاقات الظاهرة على السطح . [٢]

إذن فهناك شقان للغة عند التحويليين : الأول هو المظهر الخارجي لها ، أي الكلام المنطوق به فعلا وهو محل دراسة الوصفيين من اللغويين الذين تأثروا بالمدرسة السلوكية في علم النفس ، في حين أن التحويليين عدوه مظهراً خارجياً ذا أثر صوتي يعتمد على الأداء ، ويجب أن يرد إلى التركيب الباطني ، وهو الشق الثاني عندهم ، ويتمثل في المقدرة أو الكفاءة الكامنة في الإنسان التي تجعله يستوعب القواعد أو الأسس التي ينبني عليها الكلام [٣] وبمعنى آخر فان النحو التحويلي نظرية ذهنية تهتم بالحقيقة الذهنية التي تكمن وراء الأداء اللغوي [٤] ، ومن ثم كانت مادة القواعد التحويلية هي اللغة الصرفة لأنها تتعامل مع المقدرة اللغوية ، في حين أن المادة اللغوية التي تتعامل معها القواعد الوصفية هي مزيج من مؤثرات لغوية ونفسية واجتماعية ، حيث إنها تركز

= Reviews of Shinner, Ver bal behavior بعنوان Language رد على سكينر في كتابه السلوك اللفظي ص ٢٦ — ٥٨ . ونلاحظ أن سكينر استعمل الصفة (verbal (adj ليس بمعنى (فعلي) ولكن بمعنى لفظي أو لغوي .

(١) وهي قواعد التركيب الأساسي التي سنفصلها فيما بعد .

(٢) نايف خرما : أضواء على الدراسات ص ٥٥ .

(3) Chomsky: Aspects of the theory of Syntax, Cambridge The MIT press, 1965. p. 4.

(4) Ibid. p. 4.

على الأداء اللغوى الذي يتأثر بهذه العوامل لاحالة » (١) .

واللغة تتكون من مجموعة محدودة من الأصوات ومع ذلك فهى تنتج عند التحويليين عدداً غير محدود من الجمل ، وفي ذلك يقول تشومسكى «إن أية لغة طبيعية تتكون من عدد محدود من الفونيات ، ومن حروف الهجاء – مكتوبة كانت أم منطوقة – وكل جملة تمثل عدداً محدوداً من تلك الفونيات والحروف ، ومع ذلك تنتج تلك الفونيات والحروف عدداً غير محدود من الجمل (٢) .

ومن ثم كانت (العينة) sample التى أخذها التحويليون مجالا لدراستهم هى اللغة ككل ، أى الكلام المنطوق به وغير المنطوق به ، وليست (عينة) معينة من اللغة أو كلاماً فعلياً نطق به الناس (٣) لأنهم يرون « أن أية نظرية

---

(١) محمد على الخولى : قواعد تحويلية للغة العربية ص ٢٥ . دار المريخ . الرياض السعودية ١٩٨١ م .

(2) Chomsky : Syntatic Structres, The Hague Mouton and co. 1957. p 13

(٣) وهذا شأن الوصفيين،وربما يذكرنا هذا بأن نقارن بين البنية السطحية S. S. والبنية العميقة D. S. عند تشومسكى من ناحية ، والكلام Porole واللغة Langue عند فرديناند دو سوسير من ناحية أخرى،فالكلام عنده النموذج الصادرعن فرد من أفراد المجتمع، ويختلف هذا النموذج باختلاف الفرد ، أما اللغة فهى مجموعة تلك النماذج وغيرها، والتى تحمل صفات أوقواعد مشتركة تجعل منها لغة تمثل ظاهرة اجتماعية وانظر فى ذلك :

متكاملة فى اللغة لا يمكن أن تبنى على الكلام الفعلى فقط ، مهما بلغ حجم العينة من هـذا الكلام الذى تجرى عليـه الدراسة » وفى ذلك يقـول تشومسكى « إن الهدف الأساسى فى التحليل اللغوى هو أن تفصـل كل الصيـغ النحوية grammatical Sequences عـن تلك الصيـغ غـير النحوية »[1] ungrammatical Sequences أى أن النظرية لابد أن تشمل كل التراكيب الصحيحة نحوياً وترفض ما عداها .

ويوثق جون ليونز ـ وهو أحد النحاة التحويليين ـ الصلة بين اللغة والرياضة فيرى أن نظرية تشومسكى فى اللغـة يمكن أن نشبهـا فى الرياضة بمعادلة نحو ٢ أ - ب + ٣ حـ = ؟؟

فعلى قدر القيم العددية للرموز أ ، ب ، حـ يكون قدر النتيجة ، فاذا فرضنا أن أ = ١ ، ب = ٢ ، حـ = ٤ فالنتيجـة تكون اثنى عشرة .

وإذا فرضنا أن أ = ٢ ، ب = ٣ ، حـ = ١ فالنتيجة تكون أربعاً .

وهكذا نستطيع أن نستنتج من هذه المعادلة قيما (أو نتائج) لا نهاية لها ، وبالمثل فى اللغة ، توضع قاعدة (أو تركيب أساسى) ينتج عنه أمثلة أو جمل

De Saussure: Course in General Linguistics, translated = from the Freneh language by Wade Baskin, Peter Owen, London 1960. 7–71.

(1) Chomsky: Syntatic Structures. p. 13.

عديدة (١) .

وبمعنى آخر فان مجموعة من الجمل من الممكن أن نرجعهـا إلى معنى عميق واحد ، فالجملة :

حفظ الولد الدرس

تمثل معنى عميقاً ناتجاً عن تركيب أساسى هو فعل + فاعل + مفعول من الممكن أن تتحول إلى :

الولد حفظ الدرس

الدرس محفوظ بالولد

الولد هو الذى حفظ الدرس

الدرس هو الذى حفظه الولد

الذى حفظ الدرس هو الولد

كل هذه الجمل تمثل البنية السطحية Surface Structure للتركيب الباطنى وهو علاقة الفاعلية من الولد على المفعولية الواقعة على الدرس بواسطة الحدث حفظ .

إن كل هذه الجمل مقبولة نحوياً أى صحيحة grammatical أما إذا قلنا الدرس هو الذى حفظ الولد (٢) فهى غير صحيحة ungrammatical . وهذه

---

(1) John Leons: Noam chomsky. Colins & Co. London 1970 pp. 43—44.

(٢) الواجب أن يذكر العائد فيقال (حفظه) حتى نميز الفاعل من المفعول .

الجملة تشبه النتيجة غير الصحيحة لمعادلة رياضية ما .

ومن هنا جاء اسم النظرية Transformational Generative فالجملة إما محولة من جملة أخرى ، كأن تولد من الجملة This man eomes جملة أخرى The men come .

وإما أن الجمل كلها محولة عن معنى عميق أو بنية باطنية واحدة كالمثال الذى ذكرناه منذ قليل « حفظ الولد الدرس » .

ويمضى ليون فى توثيقه اللغة بالرياضة بربطه بين فكرة الأقواس فى الرياضة ، وفكرة الصفة محتملة لموصوف واحد أو موصوفين فى اللغة فيأتى بالمثال Old men and women . فهل الصفة فى أول المثال هى لمن جاورها فقط فتكون على مثال القوس الرياضى :

(ا × ب) + حـ = ا ب + حـ

حيث أ هى الصفة ، ب هى الرجال ، حـ النساء

أى أن ا مضروبة فى ب فقط أى تصف ب فقط ؟

أو أن موصوفها الرجال والنساء فتكون على مثال القوس الرياضى

ا × (ب + حـ)

= ا ب + ا حـ

أى أن ا مضروبة فى كل من ب ، حـ أى تصف كلا منهما .

فاذا فهمنا المثال اللغوى على نمط القوس الأول ا ب + ا حـ

كان Old men + women

وعلى مفهوم القوس الثانى ا ب + ا حـ

كان Old men + Old women (١).

(1) Ibid. p. 56.

واختلاف المفهومين اللغويين كاختلاف القيمة الرياضية النـاتجة من وضع علامة + أو × بين القوسين ، فاذا كانت ا = ٢ ، ب = ٣ ، حـ = ٤

كان القوس الأول مساويا (ا × ب) + حـ

= ٦ + ٤ = ١٠

وكان القوس الثانى مساويا ا × (ب + حـ)

= ا ب + ا حـ

= ٦ + ٨ = ١٤

وليس جون ليونر هو أول من وثق الصلة بين اللغة والرياضة ، فالخليل ابن أحمد رحمة الله عليه استخدم نظرية التباديل والتوافيق الرياضية فى اختراعه الدوائر العروضية الخمس ، فقد غير أو بدل من مواضع الابتداء فى الحركات والسواكن ، وهذه المغايرة أو هذا التبديل ينتج بحورا مختلفة . وهذا مقبول من الخليل لأن الأفكار متماثلة .

وكذلك ابن العريف ، فقد نقل عنه السيوطى فى الأشباه والنظائر حـ ٣ ص ٩٦ و ٩٧ صدر آباد ١٩٥٩ — أنه أورد النص « ضرب الضارب الشاتم القاتل محبك واهك معجبا خالدا فى داره يوم عيد » ورأى أن فيه ٢٧٢١٦٠٠ وجه ، وذلك بأن يبين وجوه إعراب كل كلمة ثم يضرب كل وجه فى عدد الوجوه الأخرى للكلمات الباقية ... ، إلا أن استخدام ابن العريف هذا للرياضة استخدام سىء فى غير موضعه .

وهذه المماثلة بين الرياضة والنحو - وإن دلت على ذكاء ليون - لاتخدمنا في الدرس اللغوى، بالإضافة إلى أنها جاءت منفردة إذ إننا لانستطيع رد كل التراكيب النحوية إلى الأشكال الرياضية ولأن المثال الذى أتى به ليون خاص باللغة الانجليزية التى يستوى فيها جمع المذكر men مع جمع المؤنث women فى أنهما يوصفان بصورة واحدة وهى Old .

ولقد أشرنا من قبل إلى سبب تسمية تشومسكى نظريته بهذا الاسم Gnenerative Transformational Grammar ، ونتكلم الآن بشىء من التفصيل عن جانب التوليد فى هذه النظرية ؛ لأن هذا الجانب يمثل المرحلة الأولى فى نشأة تلك النظرية .

لقد شبه تشومسكى قواعد اللغة بآلة أو جهاز يتم بواسطة توليد أو (فرز) عدة جمل فى سلسلة تتحدد فيها كل كلمة فى جملة بالنظر إلى الكلمة التى قبلها . فاذا بدأنا مثلا بكلمة This فلا بد أن يأتى بعدها مفرد مشار إليه من قريب وإذا أتينا بعدها بفعل فلا بد أن يكون شقاً من أفعال الكينونة أو الملكية أو غيرها من الأفعال .

	is
	has
This man	writes
	was
	had
	wrote

فالثلاثة الأولى للمضارعة والأخرى للماضي فإذا استعملنا (is) أتينا بعدها بـ predicate نحو courageous أو بفعل ينتهي بـ ing دليلا على الاستمرار continious (eating) وهنا لا بد من مجيء مفعول به a loaf , an apple [1] وإذا أتينا بعد (is) بفعل to be في حالة الاستمرار فيأتي بعده التصريف الثالث past participle (اسم المفعول) دليلا على المبني للمجهول ... وهكذا إلى آخر السلسلة كما هو موضح بالرسم:

This man
- is
  - courageous
  - eating →
    - an apple
    - the food
    - a loaf
  -
- has
  - failed
  - been there
  - a watch
- writes ......
- ...
- was ......
- ...
- had ......
- wrote ......

---

(١) ان ترابط السلسلة يحدد أيضا أداة التنكير an أو a فالأولى لتنكير ما كان أوله حرفا متحركا Vowel والثاني لمن كان أوله حرفاً ساكناً consonant .

وإذا استبدلنا كلمة men بكلمة man تغيرت هذه السلسلة بتغير الكلمة الأولى منها .

هذه هي الحالة الأولى لنشأة النظرية في ذهن تشومسكي وقد سماها الحالة النحوية المحدودة Finite State grammar [١]، لأنها تنتج جملا محدودة بالإضافة إلى أنها ربما تولد جملا غيرمقبولة نحوياً many none - sentences أى جملا مقبولة من حيث الشكل مرفوضة من حيث المعنى .

ولا يسعنا ونحن ندرس مرحلة التوليد هذه إلا أن نتذكر ما كنا نسأل فيه ونحن فى المدارس الابتدائية أو الثانوية «اجعل العباره الآتية للمثنى المذكر ثم للجمع بنوعيه» هذا هو الرجل الذى أكل التفاحة ، هؤلاء من النسوة اللاتى أكلن التفاحة ...... الخ .

أليست هـذه الإجابة هي الآلة نفسها التي أشار إليها تشومسكي ونشرها ليون [٢] من بعده بأن تصور أن هناك آلة لتوليد الجمل ، لها نقطة بداية ، وتتوقف عند نقطة نهاية ، وتحتوى بين الاثنين جملا عديدة ؟ أليس إنتاجها هو إجابة ذلك السؤال الذى طرحناه منذ قليل ؟ بلى هـو كذلك ولكننـا مغرمون بأشكال من القول زائفة وزخارف من الرسوم عديمة النفع ، نوليها عنايتنا ونهتم بها حتى لا نتهم بأننا مقصرون عن اللحاق بالركب اللغوى فى الغرب .

---

(1) Chomsky: Syutaetic Structres pp. 18—25,

وأنظر أيضا : John Leons: Chomesky pp. 44—55.

و Rodney Haddleston: An Introduction... op. cit. pp. 16-17.

(2) John Leons: Chomsky op. cit. pp. 47—55.

ترك تشومسكى هذه الطريقة كما بينا ، ثم ما ابث أن بسط نظريته على النحو الذى سنذكره الآن ، وهو التحويل من التركيب الأساسى (الباطنى) إلى التركيب السطحى بواسطة القوانين التحويلية ، وصار هذا التحويل علما على نظريته وعرفت به Transformational grammar T. G

إن هذه الطريقـة ذات أربـع مراحل ، لكل مرحلة قانون أى أنها تمثل أربع عمليات فكرية :

فالمرحلة الأولى وهى التى تتصل بالقدرة على اللغـة ، وفيها يتشكل التركيب الباطنى أو التركيب الأساسى Phrase Structre [1] وقوانين هذا التركيب لها صفة الشمول أو الكلية [2].

المرحلة الثانية : وهى التى يتم فيها اختيار المفردات أو الكلمات ويتم فيها اختيار المفردات أو الكلمات ويتم التحامها مع التركيب الباطنى ويحكمها قانون المفردات Lexical Rules .

المرحلة الثالثـة : وهى التى يتم فيها تحويل التركيب الباطنى مصحوباً بالمفردات إلى التركيب الظاهرى أو السطحى ، بواسطة قوانين التحويل Transformational Rules

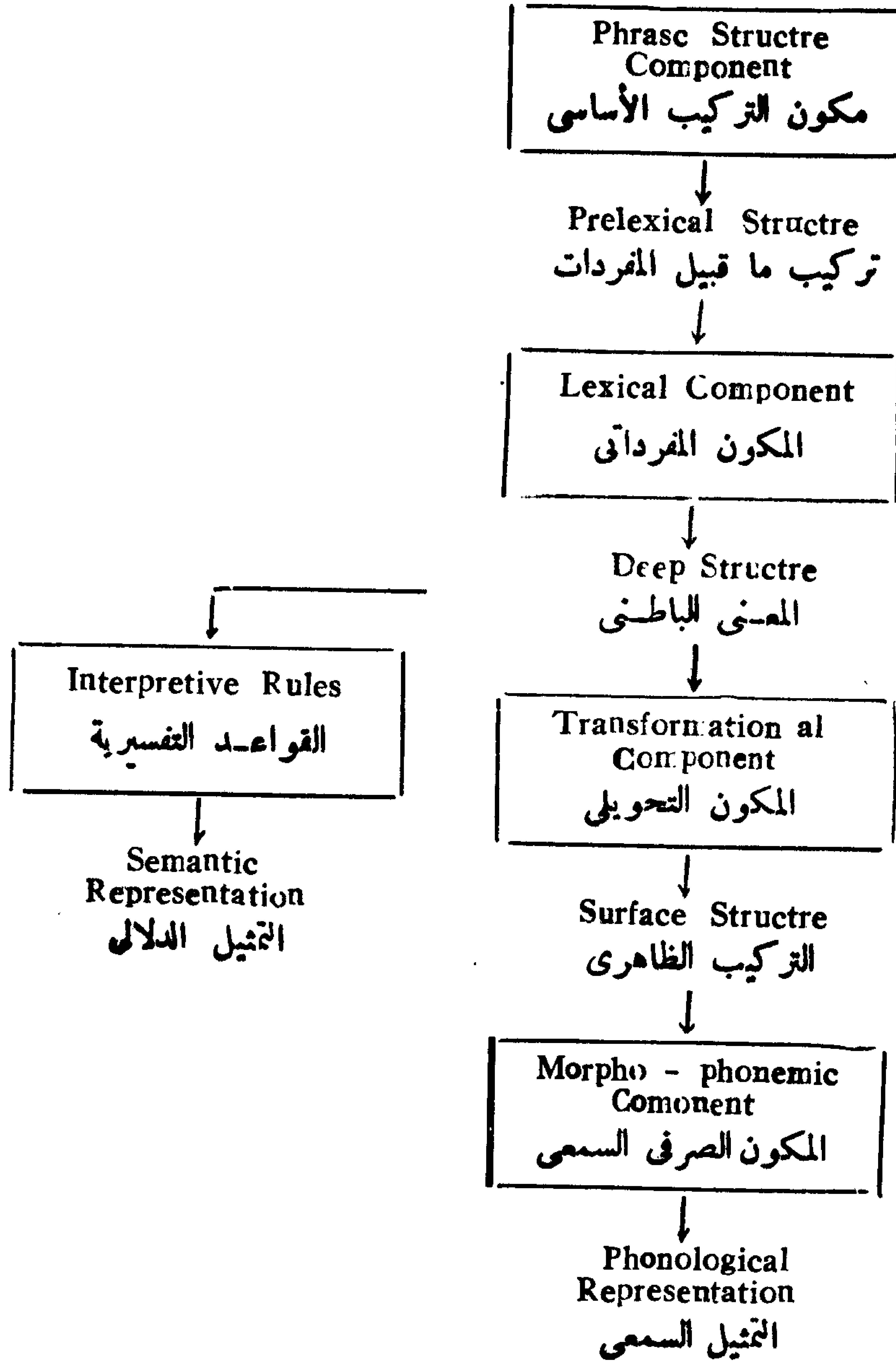
ثم بعـد ذلك تأتى المرحلة الرابعة وهى التعبـير عن الكلمات فى التركيب الظاهرى مادياً أو صوتياً Phonemic Shapes بواسطة القوانين الصرفية الصوتية Morphophonemic Rules .

---

(١) ترجمتها التركيب العبارى نسبة الى عبارة phrase .

(٢) سنعلق على هذه الصفة فيما بعد .

من الممكن أن نصور هذه العمليات المترابطة المتسلسلة فى الرسم الآتى[١] :



(I) Carl L, Baker: Intarduction to Generative Transformational Syntax. Prentic Hall, U.S.A, 1978, pp. 230-231,

فأما المستطيل الأول فيمثل التركيب الأساسي أو العبارى P. S. وهو – كما قلنا – المتصل بالكفاءة أو القدرة على اللغـة ، وبعد ذلك تأتى مرحلة التفكير فى المفردات التى تغلف التركيب الأساسى وهى مرحلة ما قبيل المكون المفرداتى (١) ، وتبعـاً لذلك تأتى مرحـلة المكون المفرداتى نفسه Lexical Component ، أى المفردات التى التحمت أو غلفت التركيب الأساسى،الأمر الذى ينتج عنه التركيب الباطنى D. S. ، والتركيب الباطنى بقواعد التفسير التي اصطلح عليها الناس تعطى التمثيل الدلالى .

نرجع مرة أخرى إلى المعنى الباطنى، إنه بواسطة القواعد التحويلية ينتج لنـا التركيب السطحى (وهو الكلام المنطوق به فعلا متمثلا فى المورفيمات والصوتيات ويأتى بالنتيجة أو المحصلة وهى الجملة المسموعة .

وإذن فان المراحل الأربع بعد استبعاد مرحلتى ما قبيل المكون المفرداتى والقواعد التفسيرية هى :

١ – مرحـلة التركيب الأساسى ويحكمـا قانون المكون الأساسى Phrase Structer Rule .

٢ – مرحلة المفردات ويحكمها قانون المكون المفرداتى Lexical Rule L. R

---

(١) بعض المراجع تهمل هذه المرحلة «مرحلة ما قبيل المكون المفرداتى» مثـل : Rocney Huddleston : An Introduction to T: Syrtax op. cit p, 88.

٣ ـ القواعد التحويلية T. R •

٤ ـ القواعد المورفومية الصوتية M. R

Morphophonetic Rules (١)

ولنتناول الآن كل قانون من هذه القوانين بالتفصيل •

١ ـ قواعد التركيب الأساسى :

فأما الأول وهو قواعد التركيب الأساسى P S فقد كان تصورها محل اختلاف التحويليين ، وذلك راجع إلى إفتراض العالمية universal Rules فيها أى « كونها مشتركاً بين معظم اللغات الإنسانية إن لم تكن مشتركة بين جميع اللغات المستعملة فى العالم كله »... إذ إن الاستعداد اللغوى الموروث المشترك بين جميع بنى الإنسان لا بد أن يصاحبه وجود عناصر مشتركة بين جميع لغات بنى الإنسان ، هذه العناصر المشتركة هى التى تكون التركيب الباطنى العالمى Universal deep structre الذى يجد علماء اللغة فى البحث للاهتداء إليه » (٢) .

وقد وضع بعض علماء النحو المحدثين فرضيات أو قوانين تضم كل عناصر

---

(١) Morpheme : هو أصغر وحدة لغوية ذات معنى، وقد يكون المورفيم منفصلا مثل boy أو متصلا مثل : un فى unkind . راجع :
M. Al Khūly A Dictionary of Theoritical Linguistics Librairie du Liban. 1982 P. 174.

(٢) الخولى : قواعد تحويلية ص ٢٩

التركيب الباطنى ، وبطبيعة الحال فان كل فرضية تختلف عن الأخرى وهـذا راجع إلى تصور النحوى لهذه الفرضية واقتناعه بأنها تشمل كل عناصر لغتـه التى يتكلم بها وعناصر اللغات الأخرى أيضاً حتى تتحقق لها العالمية « فكلما اتسعت عناصر التركيب الباطنى فى دلالتها (وهذا يستلزم نقصان عددها) ، وكلما اصطبغت هذه العناصر بالصبغة المعنوية غير النحوية ازداد اقتراب تلك العناصر من العالمية المنشودة فى فرضية أو قوانين التركيب الباطنى . . . ويمكن المرء أن يتصور أن التركيب الباطنى يتكون من طبقات أقربهـا إلى السطح أقلها عالمية ، وأبعدها عن السطح هو أعمقها وأكثر عالمية [١] .

إن قوانين التركيب الباطنى قائمة على تحليل الجمـلة إلى عناصر مختلفـة ثم تحليل كل عنصر من هذه العناصر إلى عناصر فرعيـة . . . وهكذا حتى يتم تفتيت الجملة إلى عناصر صغيرة لا تقبل أن تكون أصغر من ذلك [٢] .

فعندنا مثلا الجملة Sentence (S) وهى وحدة لغوية عالمية ، نقول إنها تتكون من عبارة اسمية وعبارة فعلية

S → Noun Phrase + verb phrare(

والعبارة الفعلية تتكون من فعل

أو من فعل + عبارة اسمية

أو من فعل + جملة جار ومجرور

---

(١) الخولى : قواعد تحويلية ص ٣٠ بتصرف .

(٢) السابق ص ٣١ بتصرف .

Verb Phrase (1) — { verb / verb + noun phrase / verb + prepositional phrase } —

وجملة الجار والمجرور تتكون { من حرف جر + اسم / أو حرف جر + عبارة اسميـــة }

Prepositional polrrase ⟶ preposition + Noun

والعبارة الاسمية تتكون من اسم فقط ، وربما تكونت من صفة واسم أو من معرف واسم أو من معرف وصفة واسم .

Noun plvrase	{ noun	}
NP ⟶ or	noun + adj + noun	
or	determiner (2) + noun	
or	{ « + adj + noun	}

وهكذا نستمر فى التحليل حتى لا يبقى عنصر قابل للتحليل لم نحلله .

ولنأخذ الجملة :

The large bird vanished from the lake.

---

(١) القوسان الطويلان { يدلان على أن ما بينها احتمالات ثلاثة اختياريه لمكون العبارة الفعلية V P }

(٢) كلمة تعريفيــة محددة مثل The , a , an , some

وراجع M. El Khuli A dictionary of Theoritical Linguistics P. 72.

نجد أنها تتكون من موضوع ومحمول أو مسند إليه ومسند أو عبارة اسمية ، وعبارة فعلية

S → N P + N V
The larg bird + Vanished from the lake

والعبارة الاسمية تتكون من معرف + صفة + اسم
The larg bird

والعبارة الفعلية تتكون من فعل + جار ومجرور
Vanished from the lake

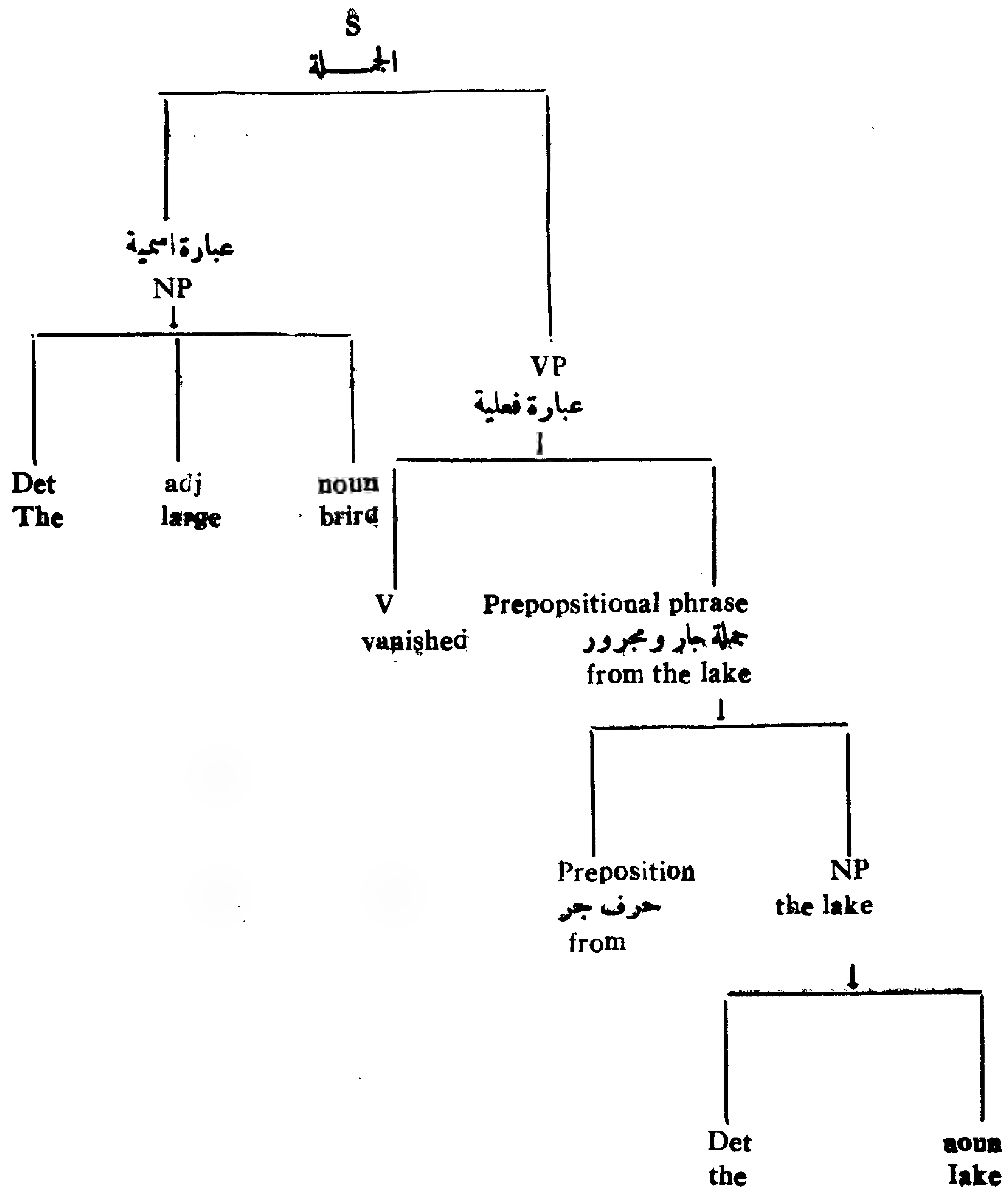
والجار والمجرور يتكون من حرف جر + عبارة اسمية
from the lake

والعبارة الاسمية تتكون من معرف + اسم
the lake

ويوضح ذلك الرسم الآتي . (١)

---

(1) Carl L. Baker : Introduction to generative … op. cit P. 38.

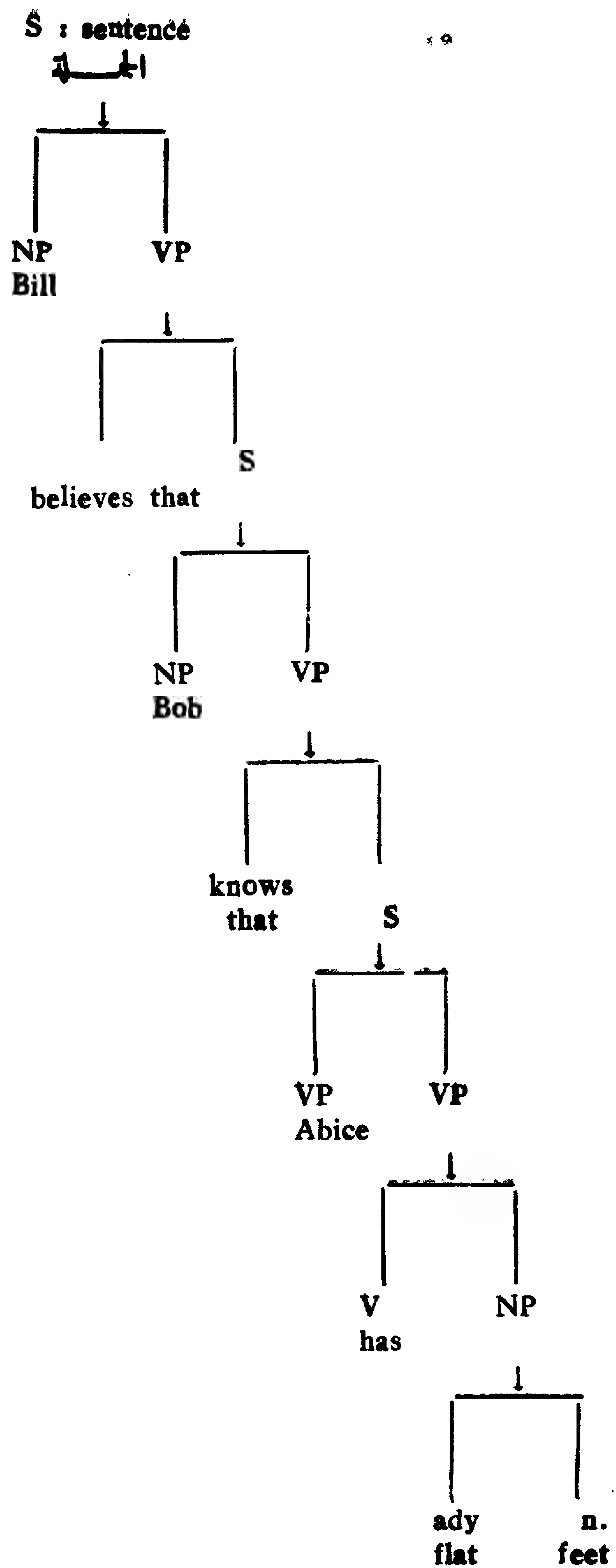

S
الجملة
عبارة اسمية
NP
Det
The
adj
large
noun
brird
VP
عبارة فعلية
V
vanished
Prepopsitional phrase
جملة جار ومجرور
from the lake
Preposition
حرف جر
from
NP
the lake
Det
the
noun
lake

ولنأخذ جملة ثانية لنعرف تركيبها الأساسي .

Bill believes that Bob knows that Alice has flat feet.

إننا سنطبق الفرضيات أو القوانين السابقة مع إضافة فرضية أخرى وهي أن الجملة عندما نحللها إلى عبارة اسمية N P + عبارة فعلية V P تكون العبارة الفعلية بدورها مشتملة على فعل + جملة وهذه الجملة الأخيرة تحلل إلى عبارة اسمية + عبارة فعلية وتلك تشتمل على جملة . . . وهكذا كما يتبين في الرسم التالي : (١)

2) Ibid P. 40.


S : sentence
الجملة
NP
Bill
VP
believes that
S
NP
Bob
VP
knows
that
S
VP
Abice
VP
V
has
NP
ady
flat
n.
feet

ويطلق على هذه القوانين (قوانين التركيب الأساسى) اسم
Context – free phrase structre grammars

أى القوانين (حرة السياق) [١] أى غير مشروط تطبيقها بسياق لغوى معين ، وذلك حتى تكون أكثر تعميماً وتدخل تحتها عينات من كل اللغات أى جعلها عالمية ، وهو المطلوب فى التركيب الأساسى، وهذا هو السبب الذى من أجله اختلفت الفرضيات فى التركيب الأساسى بين تحويلى وآخر ، فتشومسكى مثلا صاحب النظرية يرى الفرضيات التى سبق أن عرضناها فى الثلاث الصفحات السابقة مضافاً إليها فرضيات أخرى حتى تكون أوسع وأشمل ويجملها كلها فيما يلى : [٢]

P. S Phrase Structre

1 — S (الجملة) ⟶ N P عبارة أسمية + Predicate phrase
عبارة خبرية

2 — Predicate phrase ⟶ aux + V. P (place) (time)
مساعد عبارة فعلية

---

(١) يقابل هذا الاصطلاح (Context - free) اصطلاح context sensitive أى السياق المعنوى أو المشروط بالمعنى فإذا قلنا S ⟶ NP + VP كان كل من الفعل والاسم هنا معنيين يتطلبهما السياق. وقد هجر التحويليون هذا السياق ، واستبدلوا به السياق الحر الذى نحن بصدده وانظر : Ibid P. 57 & P 438.

(٢) Aspects of the theory of Syntax p. 106

3 — V. P عبارة فعلية { Copula Predicate
NP (Prep phrase جملة جار ومجرور)
(Manner حال)
S
Predicate }

4 — Predicate → { adj
(like) predicate nominal }

5 — Prepositional phrase → direction, duration, place
Frequence ···

6 — V → C S Complex symbol رمز مركب [1]

7 — NP → (det) N (S)

8 — N → C. S

بينما يرى العالم الأمريكى Charles Fillmore فرضيات أخرى للتركيب الأساسى [2] وليس قصدنا عرض هذه الفرضيات وغيرها، بل نريد أن نعرض للنظرية كلها بصورة مبسطة ومجملة .

---

(١) يقصد به أنه يشمل الفعل وعبارة فعلية ، والعبارة الفعلية تشمل الفعل والاسم ...

(2) Charles Fillmore: A proposal Concerning English prepositions, Monograph Series on language and linguistics No. 19 pp. 19-23.

وبعد فهذا هو التركيب الأساسى ، وهو أول مرحلة من مراحل النحو التحويلى لماذا نرى فيه ؟

إن محاولة جمع معطيات اللغة كلها أو اللغات كلها فى فرضيات معينة محددة لهو شيء متعذر بل مستحيل [1] ، لأن الفرضيات التى تصلح للغة لا تصلح لأخرى ، بل إن الفرضيات لا تستطيع أن تستوعب كل أنماط اللغة الواحدة من هنا جاء اختلاف التحويليين حول تصورها . يدل على ذلك أن الدكتور محمد على الخولى فى بحثه عن قواعد تحويلية للغة العربية اختار فرضية فلمور — التى سبق أن أشرنا إليها منذ قليل — وفضلها على فرضية تشومسكى وغيرها من الفرضيات ، ذلك لأنه وجد فرضية فلمور أكبر الفرضيات ملاءمة للغة العربية ، وذلك بعد أن أجرى فيها تعديلات . يقول « وبعد اختيار الفرضية الملائمة للغة العربية من بين الفرضيات العديدة التى وضعت للغة الإنجليزية [2] سوف يتم تعديل هذه الفرضية بحيث تجعل أكثر ملاءمة للغة العربية . ومن ثم يجرى تبرير اختيار فرضية معنية دون سواها » [3] .

فأين العالمية إذن ؟ إذا كانت هناك فرضية مناسبة للغة وأخرى مناسبة للغة أخرى وأن الباحث سيجرى تعديلا على فرضية ما لتصلح للغته ... فهل تستطيع أن تقول إن هناك فرضية تصلح للغات جميعاً ؟ !

---

(١) فى هذا تأثر بالمنهج الرياضى ومنهج العلوم الطبيعية وسوف نفصله بعد قليل .

(٢) تأمل صلة الموصول « وضعت للغة الانجليزية » .

(٣) قواعد تحويلية للغة العربية ص ٦١ و ٦٢ .

إن هذا القرض يذكرنا دون شك باللغة العالمية التى طلع بها عام ۱۸۰۷ العالم الروسى الدكتور لازاروس زامنهوف، الذى كان يكتب تحت Esperanto الاسم المستعار الدكتور اسبرانتو (١)

ولم يكتب لهذه اللغة النجاح بالرغم من أنها كانت مبنية على أسس مختارة من اللغات الأوربية ليس غير وليس من اللغات كلها .

إن أية فرضية من الفرضيـات سواء أكانت لتشومسكى أم لفلمور أم لغيرهما تبدأ :

S ⟶ NP VP

فالجملة تبدأ بالعبارة الاسمية (وملحقاتها إن وجدت) كالأداة التعريفية أو الصفة) وهذه البداية تحمل بين ثناياها افساد الفرضية أو بالأحرى فساد عالميتها، لأن الجملة فى اللغة العربية لاتبدأ بالاسم فى كل أحوالها ، بل هناك الجملة الفعلية أيضاً . ولكن تلك الفرضية مـلائمة للغتين الإنجليزية والفرنسية ، فليس فيها جملة تبـدأ بالفعل(Verb) ، لكن الاسـم هو المبدوء به دائما ، ويكون هذا الفعل ed أو ètre ويستعمل كرابطة Copula نحو

The man is courageous . Le ciel est bleu.

وهذا يشبه الجملة الاسمية عندنا التى يأتى فيها المبتدأ ثم الخـبر ، ولكن دون رابطة بينهما ، بل يكتفى بالرابطة المعنوية أو الضمة على آخر المبتدأ،أو يكون

---

(١) نايف خرما . أضواء على الدراسات .. ص ٥٩ .

هذا الفعل فعلا آخر غير فعل الكينونة مثل .

The pupils writes his lesson.

Le directeur dirige l'écol.

وهذا يشبه الجملة الفعليــة عندنا ولكننا نبدأ بالفعـل ، فأين الفرضية التى استوعبت تلك الظاهرة أو اتسعت لهـا ؟ أين الفرضية التى فرقت - أو قل - جمعت بين تراكيب الجملة فى العربية وفى غيرها من اللغات ؟

وقبل أن نترك المرحلة الأولى من النحو التحويلى وهى عن قواعد التركيب الأساسى نود أن نقول إن أثر المنطق الرياضى ومنهج العلوم الطبيعية « الكيماء والفيزياء » يظهران بوضوح فى عالمية قواعد التركيب الأساسى،وفى الأقواس اللغوية التى استعملها ليونز [1] ؛ لأن عالمية القواعد عند التحويليين تقتضى أن تكون العينة Sample المدروسة عندهم هى اللغة ككل ، وليس الكلام المنطوق المعـين . إن الاستقراء النـاقص هو الاستقراء العلمى الصحيح ، لأن العالم لا يستطيع أن يجرى تجاربه على كل العينات ، ومع ذلك فان إجراءه تجاربه على عينات تؤدى به إلى قاعدة تغطى كل العينات . فالقاعدة التى تقول « كل المعـادن تمتد بالحرارة » مستنبطة من الاستقراء الناقص ؛ أى أننـا أجرينا التجربة على الحديد والنحاس والذهب... إلى آخر المعادن التى أمامنا ، ولما رأينا أنها تتمدد بالحرارة استنتجنا أن المعادن كلها - ما أجريت عليها التجربة وما لم تجر - تتمدد بالحرارة ؛ ذلك أنه ليس فى إمـكاننا إجراء التجربة على

---

(1) John Leons: Chomsky op. 56.

وأنظر ص٤٤ من هذا البحث.

كل المعادن ما اكتشف منها وما لم يكتشف. فكيف يطبق هذا فى اللغة ؟ أنقول إن الفاعل من أسند اليه الفعل وكان مرفوعا ؟ سنجد فى العربية علامة الرفع الضمة ، وسنجد فى اللاتينية علامة الرفع uS فى حين أن الفرنسية والإنجليزية تخلوان من هذه العلامة ويرفع الفاعل فيها بالموقع . بالإضافة إلى أن اصطلاح Suliect يطلق على الفاعل والمبتدأ معاً .

The boy (suliect) is polite.

The boy (suliect) writes h s lesson.

بل إن موقعه يختلف فى الفارسية عنه فى الإنجليزية والفرنسية فأين عالمية التركيب الأساسى إذن ؟

إننا لو وضعنا أمامنا أربع جمل ، كل منهـا من لغة تختلف عن الأخرى ودرسنا تركيب كل جملة لاتضح لنا أن التركيب يختلف من لغـة إلى أخرى كل الاختلاف :

أ — فالجملة الفارسية « أماجون ديدكه طوطى جز آن يك لفـظ هيج جيز ديكر نميداند پشيمان شده » (١) .

ب — والجملة العربية « قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم ، وآتاهم العذاب من حيث لا يشعرون » (٢٦ / النحل) .

---

(١) وترجمتها : ولكن عندما رأى أن الببغـاء لا تعرف شيئا آخر إطلاقا عدا هذا اللفظ الواحد أصبح نادما . وأنظر ص ٧٧ من هذا البحث .

حـ – والجملة الانجليزية :

The sun of Rome is set. Our day is gone, clouds, dew and danger come, our deeds are done. (1)

د – والجملة الفرنسية :

Oui, l'ârgent est plus précieux que toute les chose du monde,et vous devez rendre grâce au ciel de l' honnète homme de père qu'il vous a domné. (٢)

هذه الجمل يختلف تركيب كل منها عن الأخرى تمام الاختلاف ،ففى الفارسية ظاهرة واضحة بارزة وهى أن الفعل يجىء فى آخر الجملة (فعل ديدن،دانستن ، شدن) حتى لو نتج عن ذلك تراكم عدة كلمات متتالية لاتؤلف معنى فى عقل غير الفارسى مثل (جز آن يك لفظ هيچ ديكر) أى (عدا هذا واحد لفظ شيئا آخر) فتبدو مضطربة قلقلة فى موضعها ، لاتؤدى الغرض منها وهو الإفهام .

وفى الجملة العربية أتى الفعل أولا مسبوقا فى بعض المناسبات بحروف تدل على النفى أو الاستفهام أو التأكيد أو التقليل « قد مكر » « فأتى » ثم فاعله « الذين » ويتبع فى العربية اسم الموصول صلته ، ثم يأتى المفعول إن كان الفعل معتدياً » فأتى الله بنيانهم ، ثم تأتى متعلقات الجملة .

أما فى الفرنسية والإنجليزية فيأتى الفاعل أولا سواء أكان اسماً مثل

---

(1) William Shakespear: Juluis Caesar Macmillan conp. p. 75.

(2) Moliere: L'avare, Larousse Paris. p. 29.

clouds أو sun أو l'ârgent أم ضميرا مثل he أو you أو vous أو il .
ونلاحظ أيضا حرص الجملتين على وضع الرابطة بين موضوع الجملة ومحمولها The Sun is . l'ârgent est وإذا خلت الجملة من الرابطة فهى ذات فعل آخر غير فعل الكنيونة. إن القول بعالمية التراكيب - مع هذه الاختلافات - قول بعيد جداً عن الصواب (١) وإذا استقام الأمر فى عالمية القواعد الأساسية فى التركيب، أو قواعد التركيب الأساسى فيجب أن نلغى من قاموسنا فكرة التقابل اللغوى أو علم اللغة التقابلى contrastvie linguistics ؛ لأنه يقوم على افتراض تباين واختلاف بين اللغات .

ومن ناحية أخرى فان الفاعل مرفوع ، ولكن هل هناك قوة تلزمنى بأن أقول « جاء محمد » وتمنعنى من قول « جاء محمداً » صحيح أن هذا خطأ فى الإعراب، ولكن ذلك الخطأ لا يأتى إطلاقا فى العلوم الطبيعية ، فليس هناك معدن لا يتمدد بالحرارة، ولم يحدث مرة أن خلطنا الأوكسجين والإيدرجين

---

(١) التركيب الأساسى فى النحو التحويلى يحول إلى تركيب سطحى أو ظاهرى Surface Structre بواسطة القواعد التحويلية - كما سيأتى بعد - وعلى هذا فقد يرد على قولى باختلاف التراكيب فى هذه الجمل - بأن هذه التراكيب إنما هى تراكيب سطحية ترد إلى البنية العميقة التى ينتظمها تركيب أساسى واحد ، أو تراكيب أساسية تشتملها كلها .
ومع ذلك فانى أقول : أين التركيب الأساسى أو التراكيب الأساسية التى تنتظم فيها هذه الجمل جميعا - بما فيها من اختلافات أساسية - أو تدخل تحت نظامها . الجواب : لا يوجد . وإذن فان عالمية التراكيب الأساسية مرفوضة .

بنسبة معنية ولم ينتج ماء . ولم يحدث أيضاً أن كان واحد وواحد يساويان غير اثنين ؛ ذلك لأن منهج البحث فى الرياضة والعلوم الطبيعية غيره فى اللغة والنحو . ثم ماذا نصنع فى اللهجات ؟ أنخضعها هى الأخرى لمنهج العلوم الرياضية والطبيعية؟ وهى التى تختلف فيها القواعد من قبيلة لأخرى ، ولا يناسبها إلا وصف تلك القواعد وصفاً مجرداً فى زمن معين.

نتناول الآن المرحلة الثانية وهى مرحلة القواعد المفردانية L. R. Lexical Rules . قد يكون من المفيد أن نقول إنه ليس فيها جديد فقانون المفردات يزودنا بالمفردات المناسبة والمختارة لتعويض العناصر الموجودة فى التركيب الأساسى أو إحلالها محل تلك العناصر ، فنجعلها أضيق أو أكثر تخصصاً . وكل مفردة لها ملامح خاصة feature يتم على أساسها تصنيف المفردة باكتسابها ، فتكون المفردة موجبة أما الملامح التى ليست للمفردة فتكون سالبة بالنسبة لها [1] مثل :

ولد : + إنسان + حى - ضمير - معرفة
كتاب : - إنسان - حى - محدود + عام

(ما أمامه علامة + من صفات الولد والكتاب وما أمامه علامة — ليس من صفاتها)

وعن طريق تلك الملامح يتم اختيار المفردات فمن الصحيح نحويا grammatically أن نقول :

John read one / every — book

two / Several — books

(1) Chomsky: Aspects of the theory of Syntax p. 164.

ولكن لو استبدلنا بكلمة book كلمة sand أو water مثلا لأصبحت الجملة غـير مقبولة نحوياً : Ungramatically

Jon spelled one sand, two Waters

ذلك لأن كلمة book قابلة العدد countable (+ count) .

فى حين أن كلمتى sand و water غير ذلك (— count) .

أى أن ملحيهما لا ينتميـان الكلمة one أو two [١] . ولا علاقة بينهما .

هذه هى أهم ما فى قانون المفردات ، لا نجـد جديداً فيه ولا تعليق لنا عليه ، لذلك نتركه ونتجه إلى المرحلة الثالثة :

القانون التحويلى :

القوانين التحويلية وهى المرحلة الثالثة ، ذلك أننا بعد أن ألبسنا المعنى الأساسى ثوب المفردات ، حق لنا أن نستعمل القوانين التحويلية لنجعل من من التركيب الباطنى تركيبا ظاهرياً أو سطحياً .Surface St مجسداً لشكل الجملة [٢] ، أى أن القوانين التحويلية لا تستعمل إلا فى نتاج قوانين التركيب الأســاسى لأنها تركيبــات قابلة للتحليل Structural analysability ، ولا تستعمل فى أى نتاج آخر ذى تركيبات غير قابلة للتحويل [٣] .

---

(1) C. L. Baker: Introduction to generative. cit. p. 237.

(2) Chomsley: Aspects of the The theory. op. cit. p. 136.

(3) John Leons: Introduction to Theoritial Linguistics op. cit. p. 299.

وتختلف الوظائف التحويلية عند النحاه التحويليين فيرى باتش [١] مثلا أن هذه الوظائف تنحصر فى :

١ - الحذف ا + ب ⇐ ø + ب
Deletion

٢ - التعـويض Replacement
أو إحلال عنصر محل آخر ا ⇐ ب

٣ - التمدد أو التوسع Expansation ا ⇐ ب + حـ

٤ - التقلص أو الاختصار Reduction ا + ب ⇐ حـ

٥ - الإضافة أو الزيادة Addition ا ⇐ ا + ب

٦ - إعادة الترتيب Permutation ا + ب ⇐ ب + ا

ونلاحظ هنا أننا استعملنا السهم المزدوج ⇐ دليلا على نتاج القواعد التحويلية . وأما السهم المفرد ← فهو دليل على نتاج التركيب الأساسى مع المفردات . ونلاحظ أيضاً أن نتاج السهم المفرد هو نفسه مدخل السهم المزدوج أى مدخل القواعد التحويلية :

الجملة ← تركيب أساسى ومفردات ⇐ (بالقواعد التحويلية) التركيب السطحى .

---

(1) Emn on Baeh: An Introductton. to Transformetional grammars. New, York, Holt, Rinhert and winston Ine. 1964. p. 70.

ويرى فيلمور (١) وظائف أخرى للقوانين التحويلية هى :

١ – الحذف Deletion .

٢ – التبادل أو إعادة الترتيب Permutation .

٣ – النسخ Copying ليس بمعنى حذف شىء ثم الإتيان ببدل عنه ، بل بمعنى التكرار أو كتابته مرة أخرى .

ا + ب <= ب + ا + ب .

٤ – التقديم Fronting ا + ب + جـ = ب + ا + جـ .

وتذكرنى هذه القوانين بالمثال الذى كنا ندرسه فى كتب النحو (٢) « أما أنت برآ فاقترب » فمعظم هذه القوانين ممثلة فيه إذ ان بنيته العميقة أو تركيبه الأساسى :

أن كنت برا فاقترب

فابتدأنا بتطبيق القانون التحويلى الثالث عند باتش وهو قانون التمدد Expansation على النحو التالى :

أن كنت برا فاقترب <= أن كان أنت برا فاقترب .

---

(1) Chrrles Fillmore « A proposal Concerning English Preposition » op. cit. pp. 19—31.

(٢) هـذا المثال فى باب (كان وأخوتها) : حـذف كان مع بقاء اسمها وانظر ابن عقيل حـ ١ ص ٢٩٦ تحقيق الشيخ محمـد محيى الدين – التجارية ط ٤ سنة ١٩٦٤ .

٢ ـ ثم طبقنا القانون الأول وهو الحذف Deletion .

أن كان أنت برا فاقترب => أن أنت برا فاقترب .

٣ ـ ثم طبقنا القانون الثاني وهو قانون التعويض أو الإحلال Replacement فعوضنا عن كان المحذوفة بـ ما أو أحللنا (ما) محل (كان) المحذوفة :

أن أنت برا فاقترب => أن ما أنت برا فاقترب .

٤ ـ ثم طبقنا قانون التقلص Roduction ، أى أن الرمزين (أن) و(ما) تقلصا وأصبحا رمزاً واحداً .

أن ما أنت براً فاقترب => أما أنت برا فاقترب . لنتناول الآن مثالا من اللغة الإنجليزية [١] .

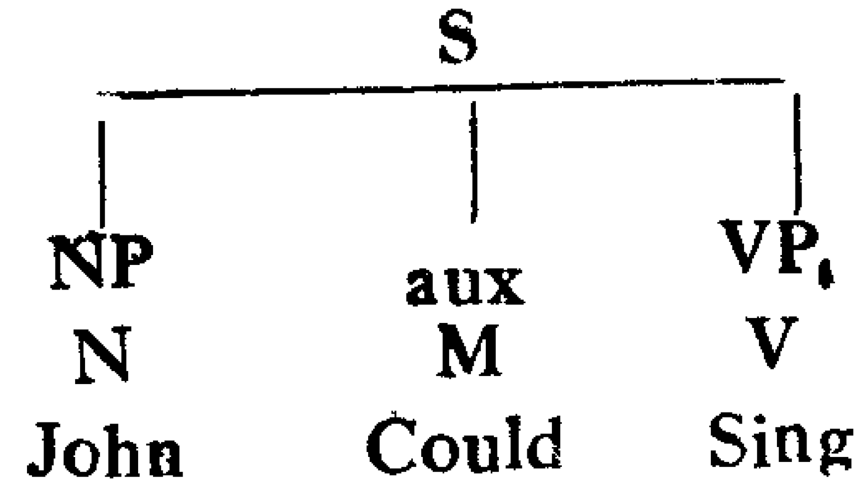
$$S \longrightarrow N\ P + \begin{Bmatrix} M\ aux \\ have \\ be \end{Bmatrix}^{(2)} + X$$

الجملة ← { صفة المساعد / أو الملكية / أو الكينونة } + أى عنصر آخر

(1) Carl L. Baker: Introduction generative… op. cit pp. 62–63.

(2) M: Modal أى الصيغة

بعد تطبيق قانون المفردات :



هذه الجملة تتكون من ثلاثة أجزاء 3 + 2 + 1 وهذا هو التركيب الأساسى لها . فلكى (نحولها) إلى استفهام نستعمل القانونين التحويلين الآتيين : قانون إعادة الترتيب Permutation بأن تنقل الجزء الثانى إلى شمال الجزء الأول ثم بتطبيق قانون الحذف بأن نحذف ما كان فى محل الجزء الثانى .

$$1 + 2 + 3 \Rightarrow 2 + 1 + 0 + 3$$

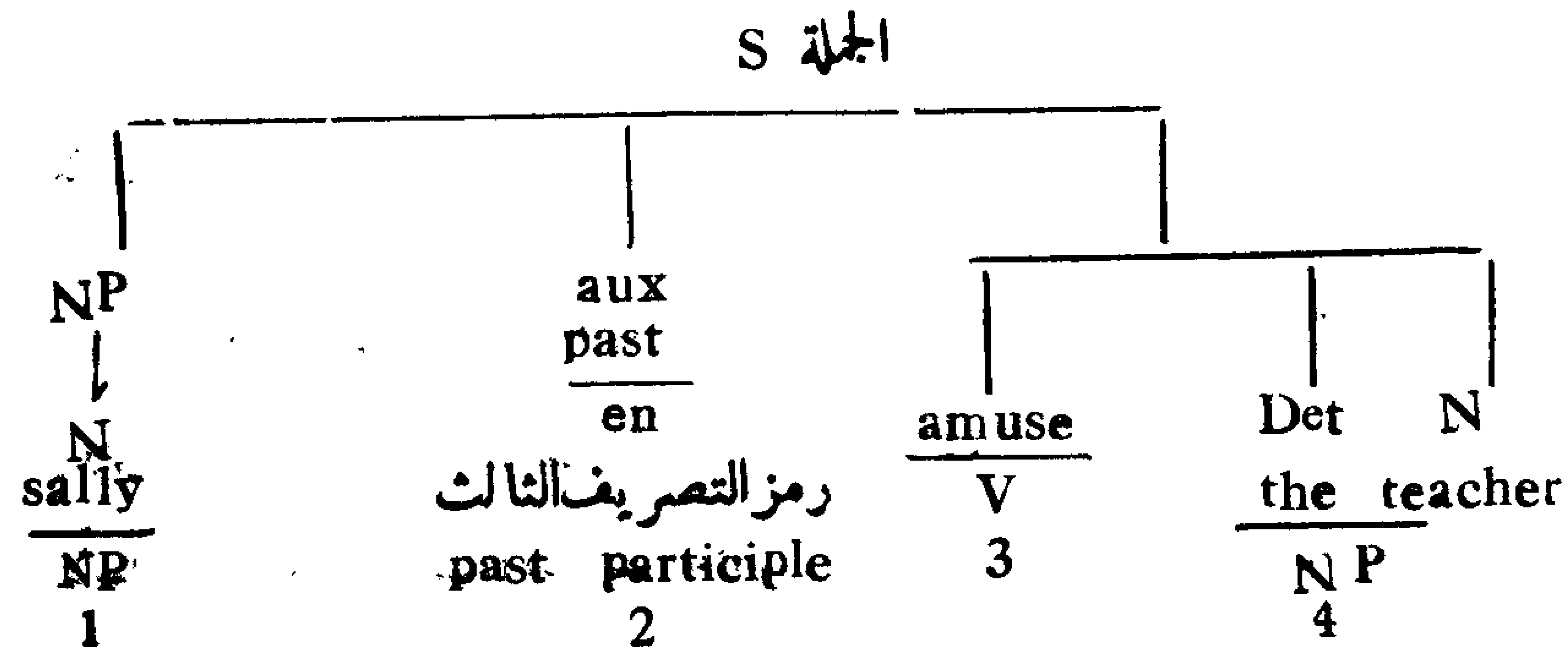
John Could Sing   Could John Sing ?

وندرس مثالا للتحويل من المبنى للمعلوم active إلى المبنى للمجهول Passive [1] . لنأخذ الجملة Sally amused the teacher .

---

(1) Ibid p. 103.

إن التركيب الأساسي لهذه الجملة هو :



وللتحويل إلى المبني المجهول : بحذف الجزء الرابع ، ثم يؤتى به في أول الكلام ، ويحذف الجزء الأول ، ثم يؤتى به في آخر الكلام مسبوقاً بكلمة by ، ويسبقه الجزء المناسب من فعل to be مصحوبا بالتصريف الثالث للجزء رقم ٣ هكذا :

1 + 2 + 3 + 4

=> 4 + 2 by en 3 + by 1

The teacher was amused by Sally.

مثال رابع من النحو العربي (١) .

يقول ابن مالك: خاف ربه عمر

إن التركيب الأساسي لهذه الجملة هو خاف عمر رب عمر ، وقد بدأنا بتطبيق القانون الرابع عند فيلمور وهو قانون التقديم

خاف عمر رب عمر => خاف ربُّ عمرَ عمرٌ

---

(١) شرح ابن عقيل حـ ١ ص ٤٩٢ .

ثم طبقنا قانونى الحذف والتعويض، فحذفنا عمر الأولى وعوضنا عنها بالهاء

خاف ربَّ عمرَ عمرُ => خاف ربَّه عمرُ

مثال خامس :

نحن نقول فى (اكتبْ) : فعل أمر مبنى على السكون والفاعل محذوف وجوبا تقديره أنت ، وتترجم هذا الكلام فى النحو التحويلى إلى التركيب الأساسى ← أكتب أنت ثم باستعمال القانون التحويلى الأول (الحذف) .

أكتب أنت ← أكتب ϕ

أما عن المرحلة الرابعة الأخيرة فهى خاصة بالقوانين المورفيمية الصوتية ، ولا محل لدرسها هنا درساً تفصيلياً ، لأن هذا يستدعى بحثاً طويلا ، بالإضافة إلى أن الإشارة اليها تكفى فى مجالنا هذا وهو مجال بحث القواعد التحويلية ، ويكفى أن نقول انها القوانين التى تحدد الصيغة المختلفة لأشكال التركيب السطحى ، فهى تحدد لنا صيغة الماضى أو المضارع أو الأمر ،وهى تحدد كسر الساكن الأول عندما يلتقى مع ساكن آخر ، وحذف حرف العلة إن كان قبل حرف ساكن مثل لم يستطع ... إلى آخره .

وبعد فهذه هى نظرية النحو التحويلى ، إنها ليست نظرية متكاملة بمعنى أننا لانستطيع أن نطبقها تطبيقاً كاملا فى درسنا النحوى بكل ما يحتويه من معطيات أو معلومات نحوية ، ولا نستطيع أن نتخذها خطاً واضحاً ندرس على أساسه الأبواب النحوية التقليدية فى مدارسنا وجامعاتنا ، ولكنها تحمل فى بعض أجزائها ماهو صالح للدرس والتأمل . ولها جانبان : جانب لغوى

وهو خاص بالكفاءة أو المقدرة على اللغة التي يزود بها الإنسان بيولوجيا منذ ولادته . وتجعله قادراً على النطق بمئات الجمل ، ربما لا يكون قد سمعها من قبل . وفي هذا اختلاف كبير عن منهج السلوكيين من علماء النفس الذين يرون اللغة مادة سلوكية مكتسبة كغيرها من العادات، وجانب نحوى وهو خاص بقوانين التحويل في الحذف والإضافة والتبديل ... حين نبحث في التركيب السطحى الذى أمامنا ونحاول أن نرده إلى بنيته العميقة أو تركيبه الأساسى ، وهو ما بيناه في موضعه ونجد له كثيرا من الآثار في نحونا العربي القديم وقد أبان عن ذلك الدكتور عبده الراجحي (١).

ولن نضيف جديداً إذا بينا آثارا جديدة أوجوانب أخرى للنحو التحويلى في نحونا العربي القديم . ولكننا ندرس بابا من أبواب النحو العربي ، ندرسه على منهج التحويليين لنرى هل يكون هذا كافياً للإلمام بالقواعد كلها كما ألممنا بها عندما درسنا هذا الباب بالمنهجين المعيارى والوصفى معاً اللذين درس بهما النحاة هذا الباب ؟

إن درسنا باباً من أبواب النحو التقليدية مقتفين خطى التحويليين يقف أمامه عقبتان :

فأما الأولى : فهى خاصة بالإعراب ، أقصد حركات الإعراب من رفع ونصب وجر وجزم ، وكذلك البناء من ضم وفتح وكسر وسكون ، لأن

---

(١) النحو العربي والدرس الحديث – ص ١٤٥ وما بعدها الاسكندرية سنة ١٩٧٧ .

كل هذه الحركات لامكان لها فى النحو التحويلى بمرحلتيه التركيب الأساسى والتركيب السطحى ـ وقد يرد على ذلك بأن قوانين المفردات Lecixal Rules تزودنا بالمعلومات اللازمة عن حالة الاسم من حيث البناء أو الإعراب ، وهذا الرد مرفوض ، لأن المفردات ـ عندما تزودنا بتلك المعلومات ـ لا بد لها هى الأخرى من قوانين حتى نتعرف بواسطتها على ما هو معرب وما هو مبنى ، وعلى حالات الإعراب الأربع وعلى حالات البناء الأربع ، فكأننا رجعنا مرة أخرى إلى البداية حيث توهمنا أننا وصلنا للنهاية ، ذلك أن الإعراب فى المفردات ليس صفة لازمة ، أى ليس من ماهياتها بعكس التذكير والتأنيث أو الأفراد والتثنية والجمع أو حى أو ميت .... إلى آخر الملامح التى تعنى بها قوانين المفردات . فكلمة رجل مثلا هى + مذكر + حى + مفرد ـ جماد ـ ضمير ولكن هل هى مرفوعة أو مجرورة أو منصوبة ؟ ليس هذا جوهرها أو ماهيتها بل إنه (أى الإعراب) ليس صفة لازمة بل هو صفة متغيرة ، وهذا التغير تحكمه قوانين معينة كان يجب أن تشملها قواعد التركيب الأساسى .

وأما الثانية فهى خاصة بالجملة الفعلية ـ وقد سبق أن أشرنا اليها تفصيلا منذ قليل . إذ إن الفرضيات التحويلية لتشوسكى أو فيلمور أو غيرهما تبدأ بالعبارة الإسمية NP وهذا ملائم جدا للفرنسية والإنجليزية ، أما العربية فهناك الجملة الفعلية التى تبدأ بفعل ، ولا نجد لها محلا فى القواعد التحويلية .

ورغم نقطتى الضعف هاتين ، نتناول باب الابتداء بالدرس على منهج التحويليين لنرى مدى ملاءمة النحو التحويلى لتفسير ما به من قواعد نحوية . وباب الابتداء هو أصلح الأبواب النحوية للدرس على منهج التحويليين وأكثرها ملائمة له . وسيكون تناولنا لهذا الباب سردا موجزا ، ثم تأتى الخطوة الثانية

وهى إخضاع ما يمكن من تلك القواعد للمنهج التحويلى :

الابتداء

أولا : موجز للقواعد التى وردت فى شرح ابن عقيل :

١ ـ تعريف المبتدأ .

٢ ـ أ ـ أقائم زيد: يجوز فيها إعرابان مبتدأ ثم فاعل سد مسد الخبر أو خبر مقدم + مبتدأ مؤخر .

ب ـ أقائمان الزيدان: لا يجوز فيها إلا إعراب واحد وهو خبر + مبتدأ ، لأن الإعراب الثانى يكون على لغة أكلونى البراغيث .

جـ ـ أقائم الزيدان: لا يجوز فيها إلا إعراب واحد وهو مبتدأ ثم فاعل سد مسد الخبر ، لأن الإعراب خبر مقدم + مبتدأ مؤخر يهدم قاعدة التوافق العددى بين المبتدأ والخبر .

٣ ـ تعريف الخبر .

٤ ـ الخبر يكون أحياناً شبه جمله .

٥ ـ أحوال الابتداء بالنكرة .

٦ ـ « تقديم الخبر .

٧ ـ جواز حذف المبتدأ أو الخبر .

٨ ـ أحوال حذف الخبر .

٩ ـ أحوال حذف المبتدأ . (١)

ونقرر مرة أخرى أن هذا الباب هو أصلح الأبواب للـدرس التحويلى ، وسنبين ذلك عندما ندرس الباب الذى يليه .

ثانيا : الابتداء تحويلياً :

نبدأ بالتعريفات فنجد أن القواعد التحويلية عاجزة عن إعطائها ، لأنهـا تتعامل مع الجملة نفسها ، ولا علاقة لها بالتعريفات النظرية وعلى ذلك فالقاعدة الأولى والثالثة (٢) مستبعدتان .

وعن القاعدة الثانية الخاصة بالإعراب ذى الوجهين فى أقائم زيد، وذى الوجه فى أقائم الزيدان وأقائمان الزيدان فلقد أشرنا إلى إهمال القواعد التحـويلية لخاصية الإعراب فى لغتنا ، ويتبع ذلك عـدم تفسير الوجه أو الوجهـين من الإعراب فى هذه الأمثلة إلا على النحو التحويلى الآتى :ـ

أقائم زيد

التركيب الأساسى لهذه الجملة ذات التركيب السطحى هو :

---

(١) شرح ابن عقيل حـ ١ ص ١٨٨ ـ ١٦٠ ، وهناك قواعد لم أذكرها هنا لفرعيتها ، ولأن ما ذكرته يجزىء عنها .

(٢) القاعدة الأولى والثالثة أى رقم (١) و (٣) فى (أولا) أى فى القواعد النحوية التى سردتها فى الصفحة السابقة ، وكذلك الأمر فى أرقام باقى القواعد التى سأذكرها هنا .

زيد　　يقوم هو
إسم + جملة فعلية
↓　　↓
زيد　　يقوم (هو)

اسم + جملة فعلية ← زيد يقوم هو

فما الذى حدث من قواعد تحويلية حتى صارت على ماهى عليه؟ لقد أجرينا القواعد التحويلية الآتية :

١ ـ حذف Deletloin

زيد يقوم هو => زيد يقوم

وهذا الحذف اختيارى Optional وليس إجبارياً Obligatory وهـذا يفسر قولنا : محذوف جوازا .

٢ ـ إعادة الترتيب Permutation :

زيد يقوم => يقوم زيد

٣ ـ التعويض أو إحلال عنصر محل آخر Replacement .

(يقوم) يحل محلها (قائم) ، حيث إن الفعل المضارع يضارع اسم الفاعل من ناحية العمل والمعنى والكم العروضى (ـ ـ ه ـ) .

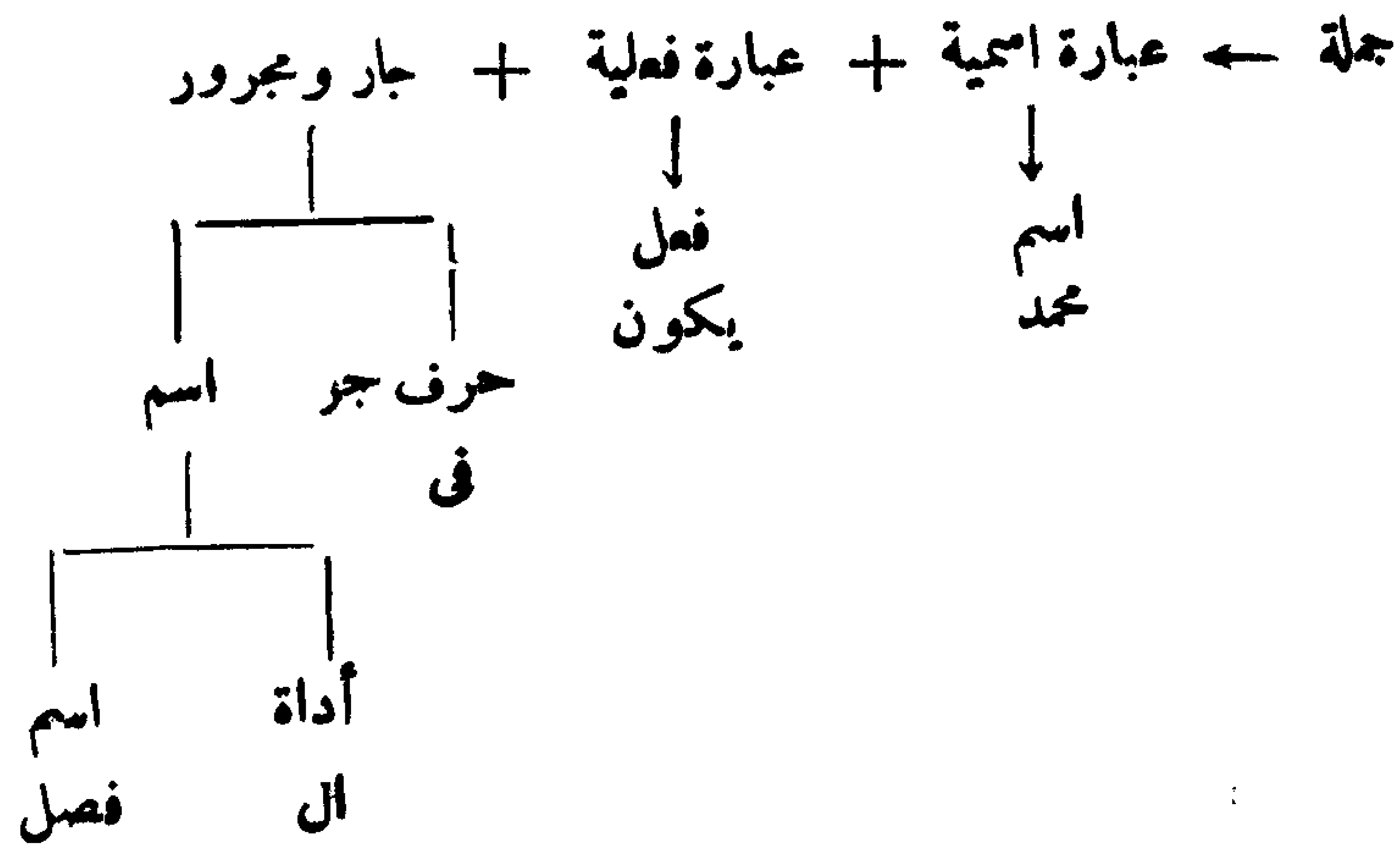
يقوم زيد => قائم زيد

(لاحظ أن إعراب (زيد) قبل السهم فاعل ، ويظل هـــذا الإعراب بعد السهم) .

أما الاستفهام أو النفى (قبل اسم الفاعل) فنحن لا نأخذ به حيث إن التركيب الأساسى (أو البنية العميقة) متفق تماما مع ما قاله الكوفيون والأخفش من عدم اعتماد الوصف على نفى أو إستفهام [1].

وأما عن الجملتين الأخريين أقائم الزيدان، وأقائمان الزيدان، فاننا لا نريد الإطالة والتكرار، بل نجتزىء بأن نقول إن البنية العميقة للأولى هى قام الزيدان (جملة فعلية) وللثانية الزيدان قائمان، ثم جرت العمليات التحويلية التى تشابه تلك التى أجريناها فى الجملة «أقائم زيد».

القاعدة الرابعة: أحياناً يكون الخبر شبه جملة: (محمد فى الفصل) فهـذا تركيب سطحى، يرجع إلى تركيب أساسى هو (محمد يوجد أو يكون فى الفصل)



ثم باستعمال قانون الحذف إجبارياً

محمد يكون فى الفصل [2] ← محمد فى الفصل

---

(١) شرح ابن عقيل حـ ١ ص ١٩٢.

(٢) تأمل هـذا التركيب الأساسى وقارنه بقـول النحـاة =

وقلنا إن إستعمال قانون الحذف إجبارى ؛ لأن الرابطة لا تظهر إطلاقاً فى الجملة الاسمية فى اللغة العربية .

القاعـدة الخامسة : لا يجوز الابتـداء بالنكرة إلا إذا كانت عامة أو خاصة نحو كلّ يموت ، ورجل من الكرام عندنا .

فماذا تقول قواعد التحويلية ؟ تقول إن كل ما نراه فى كتب النحو من جمل اسمية المبتدأ فيها نكرة إنما هى تركيبات سطحية ترد إلى تركيباتها الأساسية التى يكون المبتدأ فيها ليس منكراً . فالجملة : هل فتى فيكم [1] إنما هى تركيب سطحى، تركيبه الأساسى استفهم عن فتى فيكم، والجملة «ما خل لنا» تركيبها الأساسى «أنفى خلا لنا»[2]، «ورغبة فى الخير خير» تركيبها الأساسى

= جار ومجرور معلق بمحذوف خبر وجوباً تقديره كائن أو مستقر ويقول صاحب الألفية

وأخبروا بظرف أو بحرف جر ناوين معنى كائن أو استقر

(١) هذا المثال وما بعده من الألفية .

(٢) يذكرنا هذا بقول ابن جنى فى الخصائص إن الحروف تنوب مناب الجمل ، فالحرف (هل) ينوب عن (استفهم) والحرف (ما) ينوب عن (أنفى) الخصائص ٢/٢٧٤ دار الكتب سنة ١٩٥٣ م ، وربما كان هذا التذكر سبباً فى أننى اقترحت هذين التركيبين الأساسين ، وعلى أية حال فإن هذا يعتمد على الحدس intution ، ولا يمنع إطلاقا أن يكون هناك تركيبان أساسيان آخران أليق وأنسب .

أرغب فى الخير خير (١) . « ورجل من الكرام عندنا » تركيبها الأساسى « رجل الكرام عندنا » .

ولا حاجة لنا لذكر القواعد التحويلية التي يصير بموجبها التركيب الأساسى تركيباً سطحياً . ويكفى أن نقول إن (استفهم) و (أنفى) اللتين وردتا فى الجملتين السابقتين وحلتا محل (هل) و (ما) بقانون الإحلال Replacement بعد قانون الحذف deletion .

القاعدة السادسة : أحوال تقديم الخبر . نتناول مثالا أو مثالين من هذه القاعدة ونحللها تحويلياً .

١ ــ كذا إذا عاد عليه مضمر مما به عنه مبيناً يخبر

مثل : فى الدار صاحبها

هذا هو التركيب السطحى، والتركيب الأساسى أو الباطنى هو صاحب الدار فى الدار .

ثم جرت العمليات التحويلية الآتية :

١ ــ التقديم fronting

صاحب الدار فى الدار => فى الدار صاحب الدار

(٣) وهذا معنى « فى الخير » جار ومجرور متعلق بالمصدر (رغبة) أى أن المصدر عامل فى الجار والمجرور، فاذ أحللنا الفعل (أرغب) محل المصدر رجعنا بذلك إلى التركيب الأساسى .

٢ ـ التقلص Reduction بالنسبة لعنصرى الإضافة

فى الدار صاحب الدار => فى الدار صاحبها

ب ـ كذا إذا ما الفعل كان الخبرا

محمد قام

هنا نجد تناقضاً تاماً للقواعد التحويلية ؛ لأننا إذا افترضنا أن التركيب الأساسى هنا « قام محمد » رفضته القواعد التحويلية ؛ لأنه ليس من بين التركيبات الأساسية ما يبدأ بغير العبارة الاسمية NP . وقد سبق أن بينا ذلك .

القاعدة السابعة والثامنة والتاسعة :

خاصة بحذف المبتدأ أو الخبر أو كليهما ، ولا تحتاج إلى بيان ، فيكفى أن نقول إن الجمل بعد الحذف إنما هى تراكيب سطحية ترجع إلى تراكيب باطنية قبل الحذف . أما بالنسبة لأسباب الحذف وحالاته فلا مجال للقواعد التحويلية فيها .

وبعد ، فإذا كنا قد وجدنا مجالا للدرس التحويلى فى الابتداء فإن هذا يرجع إلى سببين :

١ ـ الأول أن معظم الدراسات فى هذا الباب تتعلق بالحذف والإضافة والتقديم والتأخير ، وهذا مجال النحو التحويلى أو جانب فيه .

٢ ـ الثانى أن الابتداء يعنى الجملة الاسمية المبدوءة بالمبتدأ ، وهذا يتفق مع التراكيب الأساسية التى وضعها التحويليون والتى تبدأ دائماً بالعبارة الاسمية NP .

ولننتقل الآن إلى باب آخر، يتبين لنا فيه قصور الدرس النحوى التحويلى عن الإلمام بكل القواعد التي يطرحها الدرس النحوى التقليدى، وهو باب الحال وليس هذا الباب وحده هو الذى يظهر فيه قصور النحو التحويلى ، بل إن هناك أبواباً كثيرة يتجلى فيها هذا القصور وما كان اختيارنا لهذا الباب إلا كنموذج للأبواب جميعاً .

الحـــال

نحاول هنا أن نلخص القواعد الرئيسية التى وردت فى شرح ابن عقيل على نهج القدماء ، ثم نتبع كل قاعدة بدرسها درساً تحويلياً .

١ ـ تعريف الحال : هو الوصف الفضلة المنتصب للدلالة على هيئة .

يعجز النحو التحويلى عن بيان هذا التعريف أو أى تعريف آخر كما بينا من قبل ، وذلك لأنه يتعامل مع الجملة وليس مع تعريفات نظرية ، كل ما يقوله فى الجملة التى تشمل حالا مثل : (جاء زيد ضاحكاً) إنها التركيب السطحى ، أما التركيب الأساسى فهو:

مساعد[1] + فعل + اسم + اسم + عبارة فعلية

← جاء زيد زيد يضحك هو

---

(١) نقصد بالمساعد هنا ما يجعل الفعل فى الصيغة المطلوبة ، وفى هذا تأثر بالانجليزية auxiliary ، ونلاحظ أننا بدأنا التركيب الأساسى بالفعل وهذا افتئات على التراكيب الأساسية التى وضعها التحويليون الغربيون وفى هذا دليل على عدم صلاحية تلك التراكيب للعالمية .

ثم تستعمل القوانين التحويلية الآتية :

١ ـ الحذف (حذف العنصر المشترك)

جاء زيد زيد يضحك هو => جاء زيد يضحك هو

٢ ـ ثم باستعمال الحذف مرة أخرى ، وهو حذف اختيارى ، لأن (هو) ضمير مستتر جوازاً .

جاء زيد يضحك هو => جاء زيد يضحك

٣ ـ التعويض عن الفعل المضارع باسم الفاعل

جاء زيد يضحك ← جاء زيد ضاحكاً

٢ ـ من خصائص الحال : أن تكون متنقلة ، أى غير ملازمة للمتصف بها وأن تكون مشتقة ، وقد تجىء لازمة نحو دعوت الله سميعاً ، وقد تكون جامدة مثل « كرّ زيدٌ أسداً » ، وأن تكون نكرة فاذا جاءت معرفة ، فهى معرفة لفظاً ولكنها منكرة معنى : اجتهد وحدك: أى منفرداً .

ما قلناه عن عجز الدرس التحويلى عن استيعاب التعريفات نقوله فى خصائص الحال أيضاً ، ولكن القواعد التحويلية تعنى بالجمل التى خرجت عن هذه الخصائص لكى ترجعها إليها .

٣ ـ الحال يكون وصفاً ، ولكنه قديجىء مصدراً، مثل: طلع زيد بغتة ، قال بعض النحاة إن التقدير « طلع زيد يبغت بغتة » ، فهو منصوب على المصدرية والعامل فيه فعل مقدر من نفس مادة المصدر .

تعنى القواعد التحويلية بالجملة « طلع زيد بغتة » فهى ترجعها إلى التركيب

الأساسي الذي وضعه نحاتنا : طلع زيد يبغت بغتة ، ثم استعملنا من القوانين التحويلية ما يحذف الجملة (يبغت) . ولن تكرر بعد ذلك القوانين التحويلية المستعملة إلا في الحالات التي تستدعي ذلك ، أما عداها فيمكن معرفتها بالمقارنة بالتحويلات السابقة .

٤ ـ صاحب الحال يكون معرفة ، وهناك أحوال يجوز أن ينكر فيها . من هذه الأحوال : أن يتقدم الحال على النكرة مثل فيها قائماً رجل

التركيب الأساسي هو « رجل قائم فيها » ثم حدث حذف وتقديم => فيها رجل .

٥ ـ لا يجوز تقدم الحال على صاحبها المجرور ، فلا تقول في « مررت بهند جالسة » « مررت جالسةً بهند » .

كل ما يقوله التحويليون في ذلك أن الجملة الأولى صحيحة grammatical والثانية غير صحيحة ungrammatical .

٦ ـ يجوز أن يجيء الحال من المضاف إليه إذا كان العامل في الحال هو العامل في صاحبه ، مثل هذا ضارب هندٍ مجردةً ، أو إذا كان المضاف جزءاً من المضاف إليه مثل . تلاقت أيديهم متعاونين .

يتناول الدرس التحويلي المثالين الواردين بهذه القاعدة على النحو التالي :

التركيب الأساسي . هذا ضارب عندِ هندٌ مجردة ، ثم بحذف العنصر المشترك => هذا ضارب هند مجردة .

التركيب الأساسي : تلاقت أيدهم . هم متعاونون .

بحذف العنصر المشترك => تلاقت أيديهم متعاونين .

٧ ـ يجوز تقديم الحال على صاحبها إن كان فعلا متصرفاً أو وصفاً مثل مخلصاً زيد دعا ونحو مسرعاً ذا رجل

التركيب الأساسى : دعا زيد مخلصاً

ثم بالتقديم => مخلصاً زيد دعا

وكذلك الأمر فى المثال الثانى .

٨ ـ إذا كان العامل فى الحال ليس فعلا، ولكن له معنى الفعل مثل ليت بمعنى أتمنى، وكأن بمعنى أشبه،وهذا بمعنى أشير لم يجز أن تقدم الحال عليه ، فلا تقول: مجردة تلك هند ، ولا أميراً ليت زيداً أخوك ، بل تقول : تلك هند مجردة ، وليت زيداً أخوك أميراً .

يقول التحويليون عن المثال « مجردة تلك هند » ungrammatical ويرجعون المثال (تلك هند مجردة) إلى التركيب الأساسى : تلك هند . هند مجردة ، ثم بحذف العنصر المشترك

=> تلك هند مجردة

... وهكذا نمضى إلى نهاية القواعد فلا نحظى من الدرس التحويلى إلا بارجاع الجمل فى البنية السطحية إلى البنيـة العميقة ، أما فى الدرس النحوى التقليدى فهناك التعريفات النظرية ،وهناك التفصيلات عن كل قاعدة وإحصاء لحالاتها المتعددة إن وجدت ، بالإضافة إلى ما سبق أن بيناه عن الإعراب .

الفصل الثالث

الاصلية والفرعية

فى الدرس النحوى العربى

عرضنا فى الفصل السابق لنظرية النحو التحويلى عند تشومسكى ومن تابعه من اللغويين الغربيين ، ورأينا أن هـذه النظريه تطوف ما تطوف ثم تستقر على مركزين :

الأولى : الأصلية أو ما يعرف بالتركيب الباطنى أو البنية العميقة ومقياسها الكفاءة أو المقدرة على اللغة .

الثانى : الفرعية أو مايعرف بالتركيب السطحى ، أو البنية الظاهرية ، ويمثلها الآداء الفعلى للكلام .

فالأصلية والفرعية إذن محورا النظرية عندهم . فماذا عن الأصلية والفرعية عندنا ؟ ماذا عن موقف نحاة العرب من الأصلية والفرعية فى الدرس النحوى . ؟

إن الأصلية والفرعية فى الدرس النحوى عند العرب تتجليان فى نقاط كثيرة منها .

أ ـ المذكر أصل للمؤنث الذى هو فرع عليه .

ب ـ المنكر أصل للمعرف الذى هو فرع عليه .

جـ ـ المفرد أصل للمثنى والجمع اللذين هما فرعان عليه .

د ـ الخلاف بينهم فى أيهما هو الأصل : الفعل أو المصدر .

هـ ـ التصغير يرد الكلمات إلى أصولها .

و ـ القلب المكانى دليل على أن للكلمة أصلا قبل هذا القلب ، وما يتصل بذلك من إعلال وإبدال .

وسيكون منهج درسنا فى هذا الفصل بيان رأى نحاة العرب فى تلك النقاط

نقطة نقطة ، ثم بيان ما يقابلها فى الدرس النحوى فى اللغات الأخرى [1] إن وجد ، وتعليقنا على كل ذلك .

وقبل أن نعرض لهذه النقاط ، نود القول بأن الأصلية والفرعية بوجه عام تؤديان إلا القول بوجود تراكيب أساسية عالمية ، أى تراكيب أساسية تنطبق على اللغات جميعاً ؟ أو تحصر أنماط التعبير فى اللغات جميعاً ، وهذا هو المعمول به فى النحو التحويلى على ما بينا من قبل فهل نجد شيئاً من هذا عند نحاة العرب؟ هل نجد عندهم أحكاماً تعمم على اللغات جميعاً ؟ وكيف عالجوا القضايا التى تقع تحت طائلة هذه الأحكام ؟ .

يقول ابن الخباز فيما نقل عنه ابن هشام فى الشذور « ولا يختص انحصار

---

(١) المقابلات المعقودة فى هذا الفصل بين العربية من ناحيــة والفرنسية والانجليزية من ناحية أخرى تتناول القواعد التقليدية ، وهى قريبة المأخذ فى أى مرجع نحوى يتناول تلك القواعد ، لذلك آثرنا هنا أن نذكر المرجعين اللذين اعتمدنا عليهما ، دون أن نذكرهما بعد ذلك فى كل موضع يتناول مقابلة نحوية :

1 — Pit Corder: An intermediate English Practice Book. Longman, London 1960.

2 — A. Souclé et J. lamaison : la Grammaire Nouvelle et Le Française. Librairie Fernand Nathan. Paris 1962.

هذا بخلاف المراجع المذكورة فى الفصل الأول .

الكلمة في الأنواع الثلاثة (اسم وفعل وحرف) بلغة العرب ، لأن الدليل الذي على الانحصار في الثلاثة عقلي ، والأمور العقلية لا تختلف باختلاف اللغات»[١]

ويقول المبرد « فالكلام كله اسم وفعل ، وحرف جاء لمعنى ، لا يخلو الكلام عربياً كان أو أعجمياً من هذه الثلاثة »[٢] .

ويقول أبو نصر الفارابي « علم اللسان في الجملة ضربان : أحدهما ـ حفظ الألفاظ الدالة عند أمة ما ، وعلم ما يدل عليه شيء منها . والثاني ـ علم قوانين تلك الألفاظ ... »[٣] .

ويقول « إن الألفاظ الدالة في لسان كل أمة ضربان : مفرده ومركبة . فأما المفردة : كالبياض والسواد والانسان والحيوان . والمركبة : كقولنا الانسان حيوان ، وعمرو أبيض . والمفردة منها ما هي ألقاب أعيان : مثل زيد وعمرو ، ومنها ما يدل على أجناس الأشياء وأنواعها مثل : الانسان والفرس

---

(١) شرح شذور الذهب ص ١٤ تحقيق محمد محيي الدين التجارية ١٩٦٠ . وابن الخباز هو أحمد بن الحسين الموصلي أبو عبد الله شمس الدين بن الخباز ، نحوي ضرير له تصانيف منها شرح ألفية ابن معط وله شعر (الأعلام لخير الدين الزركلي جـ ١ ص ١١٤) .

(٢) المقتضب جـ ١ ص ١٤١ تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٣٩٩ هـ .

(٣) إحصاء العلوم . نهاية ص ٣ وأول ص ٤ . تحقيق عثمان محمد أمين . مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٣١ م .

والحيوان والبياض والسواد . والمفردة الدالة على الأجناس والأنواع منهـا أسماء ، ومنها كلم ومنها أدوات » .

« ويلحق الأسماء والكلم التذكير والتأنيث والتوحيد والتثنية والجمع ، ويلحق الكلم خاصة الأزمان ، وهى الماضى والحاضر والمستقبل »[٢] ويقول « وعلم اللسان عند كل أمة ينقسم سبعة أقسام عظمى : علم الألفاظ المفردة وعلم الألفاظ المركبة وعلم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة ، وقوانين الألفاظ عندما تركب وقوانين تصحيح الكتابة وقوانين تصحيح القراءة وقوانين تصحيح الأشعار . . . . »[١] .

ويقول :« وعلم قوانين الألفاظ عندما تتركب ضربان :

أحدهما ـ يعطى قوانين أطراف الأسماء والكلم عندما تركب أو ترتب.

والثانى ـ يعطى قوانين فى أحوال التركيب والترتيب نفسه، كيف هى فى ذلك اللسان ، وعلم قوانين الأطراف المخصوص بعلم النحو (يقصد الحرف الأخير من الكلمة وهو حرف الإعراب) فهو يعرف أن الأطراف إنما تكون أولا للأسماء ثم الكلم ، وأن أطراف الأسماء منها ما يكون فى أوائلها ، مثل ألف لام التعريف فى العربية أو ما قام مقامها فى سائر الألسنة ، ومنها ما يكون فى نهاياتها وهى الأطراف الأخيرة ، وتلك هى التى تسمى حروف الإعراب ، وإن الكلم ليس لها أطراف أول ، وإنما لها أطراف أخيرة ، والأطراف الأخيرة للأسماء .والكلم هى فى العربية مثل: التنويات الثلاث والحركات

---

(١) السابق ص ٥ .

الثلاث والجزم . . . . »[١] .

وإذن فان تشومسكى، عندما قال بقوانين التراكيب الأساسية فى كل لغات العالم التى يرجع إليها أو يرد إليها كل ما قيل من ظاهر الكلام أو ما أطلق عليه (البنية الظاهرية) - أقول : إن تشومسكى عندما قال هذا لم يكن سباقا إليه ، من حيث الفكرة ، وبغض النظر عن التفاصيل . إذا إن العرب - فى النصوص التى أوردتها منذ قليل وفى غيرها من النصوص قالوا بالعالمية ، وفطنوا إلى مايعرف بالقوانين الكلية ، أى التى تنطوى تحتها كل اللغات . فما الفرق إذن بين تشومسكى ومن تابعه من لغويى الغرب من ناحية ، وبين نحاة العرب من ناحية أخرى ؟ لقد سبق أن بينا رأينا فى فساد قول تشومسكى بالتراكيب الأساسية أو الباطنية التى تنطوى تحتها كل اللغات . أما عن أقوال العرب التى أوردتها منذ قليل،فنحن نقبلها لاعن تعصب وميل هوى، ولكن عن دليل مقنع . لقد قال العرب بالعالمية أيضاً ،ولكن هناك فرقاً كبيراً بين العالمية التى قال بها العرب وبين العالمية التى رآها تشومسكى . ويأتى هذا الفرق من أن العالمية التى قال بها العرب تتصل بالشكل وليس بالموضوع ، أو قل: تتصل بتقسيمات شكلية محضة لا علاقة لها بالموضوع ، بل هى كما قال ابن الخباز تتصل بأمور عقلية ، فأية لغة لا تكون الكلمة فيها اسما وفعلا وحرفا ؟ ! إن هذا شىء يتحقق فى الانجليزية والفرنسية والفارسية والألمانية . . . بالاضافة إلى العربية بالطبع . إنهم لم يتكلموا عن بنية داخلية أو تركيب باطنى يرد إليه ما نؤديه من كلام منطوق فعلا . فابن الخباز يتكلم عن تنظيم شكلى وهو

---

(١) السابق ص ٧ .

تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف . وقد حذا في ذلك حذو المبرد (المتوفى سنة ٢٨٥ هـ) من قبله الذى جمع الكلام ، عربيا كان أم أعجميا ، فقسمه إلى الأقسام نفسها .

وكذلك كان تقسيم الفارابى (المتوفى سنة ٤٢٩ هـ) ، كانت كل تقسيماته تتصل بالشكل ، فهو يقسم الألفاظ عند كل أمة إلى مفردة ومركبة، ويقصد بالمركبة الجملة . وهذا ينطبق على اللغات جميعا ،فالألفاظ إما مفردة،أومركبة تتكون فيها الجملة .

ثم إنه - أى الفارابى - يرى أن علم اللسان عند كل أمة ينقسم سبعة أجزاء عظمى : علم الألفاظ المفردة ... ... وقوانين تصحيح الكتابة وقوانين القراءة وقوانين تصحيح الأشعار ، دون أن ينص على أن هذه القوانين متشابهة فى كل اللغات، بل انه رأى أن التقسيم نفسه - دون محتوى كل قسم - خاص بالألسنة جميعاً أو ينطبق على اللغات جميعا .

ثم إنه لما رأى شيئا يتصل بالموضوع أو بالمحتوى خصه بلغة واحدة ، وقارن بينه فى تلك اللغة وبين ما تماثله فى اللغات الأخرى ،فقال «وأن أطراف الأسماء منها ما يكون فى أوائلها مثل ألف لام التعريف فى العربية أو ماقام مقامها فى سائر الألسن » (١) .

وعلى ذلك فقس باقى الطرق التى تستعملها كل لغة فى كل مناسبة من مناسبات

---

(١) الفارابى : إحصاء العلوم ص ٧ .

التعبير ... فأين هذا كله من قول تشومسكى إن التراكيب الظاهرية ترد إلى تراكيب أساسية تنضوى تحتها كل اللغات . (١)

بعد هذه المقارنة العالمية أو القوانين الكلية عند نحاة الغرب وبينها عندنا، نستأنف الـكلام عن الأصلية والفرعية ، ونبدأ الدرس بالمذكر والمؤنث .

---

(١) لا نريد أن نكرر آراء تشومسكي ، فقد فصلناها تفصيلا في الفصل الثاني من هذا الكتاب .

المذكر والمؤنث

يقول النحاة إن المذكر اصل وإن المؤنث فرع عليه [١] ، وربما كان قولهم هذا فيه تأثر بالأحكام الشرعية التى أوجبت أن يكون للذكر مثل حظ الأنثيين فى الميراث . قال تعالى « للذكر مثل حظ الأنثيين » [٢] وأن تكون القوامة للرجال دون النساء « الرجال قوامون على النساء »[٣] وجعلت الرجل يعادل فى شهادته امرأتين . قال تعالى : واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان » [٤] فالأحكام الفقهية إذن جعلت الذكر أفضل حظاً وأرجح عقلا من الأنثى ؛ أى جعلته فى منزلة أعلى من الأنثى ، فلا غرابة إذن أن يتأثر النحاة بذلك ، فيجعلوه أصلا والمؤنث فرعاً عليه .

---

(١) انظر فى ذلك سيبويه حـ ٢ ص ٢٢ بولاق ١٣١٩ هـ . وابن عقيل حـ ٢ هامش رقم ٣ ص ٤٠٥ ، حـ ٢ ص ٤٢٩ تحقيق محمد محيي الدين، التجارية سنة ١٩٦٥ م، والخصائص لابن جنى حـ ٢ ص ٤١٥ تحقيق محمد علي النجار . دار الكتب سنة ١٩٥٢ م ، وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع حـ ٢ ص ١٤٩ بيروت دون تاريخ .

(٢) من الآية ١٧٦ من سورة النساء .

(٣) من الآية ٣٤ من سورة النساء .

(٤) من الآية ٢٨٢ سورة البقرة .

وتأثر النحاة بالفقه وأصوله أمر معروف، وله كثير من الشواهد[١]، فيذكر السيوطي أنه ألف كتابه الأشباه والنظائر قاصداً أن يسلك بالعربية سبيل الفقه فيما صنفه المتأخرون فيه وألفوه من كتب الأشباه والنظائر .[٢]

ويقارن أبو القاسم الزجاجي بين ظاهرة الاطراد والخروج عنه في الفقه بمثيلتها في النحو [٣]

ويذكر أبو البركات الأنباري في مقدمة كتابه لمع الأدلة إن علم الجدل في النحو وعلم أصول النحو يعرف بها القياس وتركيب أقسامه على حد أصول الفقه ؛ فإن بينهما من المناسبة مالاخفاء به ؛ لأن النحو معقول من منقول كما أن الفقه معقول من منقول [٤] . كذلك يذكر في مقدمه كتابه (الإنصاف) أنه ألف مسائل الخلاف في النحو بين البصريين والكوفيين على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة [٥]

---

(١) أنظر هـذا الموضوع مفصلا كتابنـا « ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقهـا في القرآن » ص ١٠٥ – ١٧٦ . جامعـة الرياض ط ١ سنة ١٤٠١هـ . وشواهد تأثير الفقه وأصوله في النحو ، المذكورة هنا مأخوذة منه.

(٢) الأشباه والنظائر جـ ١ ص ٣ و ٤ ط صدر آيار سنة ١٣٥٩ هـ .

(٣) الإيضاح في علل النحو ص ٧٣ . تحقيق مازن المبارك . دار العروبة سنة ١٩٥٢ م .

(٤) الإغراب في جدول الإعراب ، ومعه كتـاب لمع الأدلة – المقدمة . تحقيق محمد سعيد الأفغاني . ط الجامعة السورية سنة ١٩٥٧ .

(٥) الإنصاف في مسائل الخلاف جـ ١ ص ٣ التجارية الكبرى سنة ١٩٥٠.

يضاف إلى ذلك أن هناك كثيراً من المصطلحات النحوية أخذها النحويون من الأصوليين كالنسخ والابتداء والتعليق والتعدية والمندوب والظاهر والشرط واللغو والحال .... (١)

نستنتج من هذا كله أن النحاة فى قولهم بالأصلية للمذكر والفرعية للمونث كانوا متأثرين بالفقه وأصوله .

وقد بنى النحاة على هذا الحكم (أقصد أصلية المذكر وفرعية المؤنث) أشياء منها .

١ ـ أن منع الصرف بسبب العلمية والتأنيث إشعار بأن المؤنث فرع ، لذلك لم يتمكن فى الإعراب تمكن المذكر ، فيقال : جاءت فاطمة ورأيت فاطمة ومررت بفاطمة، بضمة واحدة وفتحة واحدة وفتحة واحدة نيابة عن الكسرة ، ولا يقال ذلك فى المذكر كمحمد مثلا .

٢ ـ أن الأعداد (ثلاثة وأربعة وخمسين .... إلى عشرة) بمثابة أسماء جموع مثل زمرة وفرقة وأمة ، فحق هذه الأعداد أن تؤنث كنظائرها فى أسماء الجموع ، فبقيت فيها التاء على أصلها عندما يكون المعدود مذكرا ؛ لأن المذكر أصل وسابق فى الرتبة ، ولما أرادوا عدد المؤنث لزمهم أن يفرقوا بينه وبين المذكر ، فلم يكن إلا حذف التاء .(٢)

---

(١) أنظر ذلك مفصلا فى كتابنا «ظاهرة الإعراب». ص ١٥٩-١٦٢.

(٢) شرح ابن عقيل حـ ٢ هامش ٣ ص ٤٠٥ .

٣ـ أنهم برروا عدم احتياج المذكر إلى علامة بأنه أصل ، والأصل لايحتاج إلى علامة، بعكس المؤنث الذى هو فرع والفرع يحتاج إلى علامة ، وعلامة التأنيث التاء أو الألف مقصورة أو ممدودة .

٤ ـ أنهم قالوا بالتغليب ، فاذا اجتمعت أسماء مذكرة مع أخرى مؤنثة فالحكم للاسماء المذكرة لأنها، أصول،فيقال: أحمد وزينب ومحمد وخديجة جاءوا، ولا يقال : جئن .

٥ ـ أورد سيبويه قول من قال من العرب « ذهب نساؤك » « ٢٣٨/١» و «ذهب فلانة» «٢٣٩/١» ولامبرر لذلك إلا تغليب الأصل وهو المذكر[١]

٦ ـ أنه لما كان المذكر أصلا، فان إضافة التاء تنتج لنا الفرع وهو المؤنث كقاعد وقاعدة وجميل وجميلة ، بعكس ماكان مؤنثا بالألف المقصورة ؛ فانه مبنى عليها ، ولا يمكن حذفها كما حذفت التاء . ويترتب على ذلك أن ماكان مؤنثا بالألف أقوى مما كان مؤنثا بالتاء ، الأمر الذى جعل التأنيث بالألف المقصورة يحل ـ فى منع الصرف ـ محل سببين ، بعكس ماكان مؤنثا بالتاء ، فيضاف إليه العلمية .

٧ـ أنهم أسسوا على هذه القاعدة (أصلية المذكر وفرعية المؤنث)

---

(١) القاعدة تنص على وجوب تأنيث الفعل إذا كان الفاعل مؤنثاً حقيقياً متصلا بالفعل ، فكان الأفصح أن يقال « ذهبت نساؤك » « وذهبت فلانة » .

« أن تذكير المؤنث واسع جداً ؛ لأنه رد فرع إلى أصل ، لكن تأنيث المذكر أذهب فى التناكر والإغراب »[١] .

فهذه تفاصيل ما بنى على قولهم بأصلية المذكر وفرعية المؤنث ، ولكننا لانرى هذا الرأى ولانذهب مذهبهم فيه . وعندنا أن المذكر أصل والمؤنث أصل أيضا ، وليس واحد منها فرعا على الآخر « إن الأمر لو كان كذلك لكان كل مذكر فى اللغـة العربية مذكراً فى باقى اللغـات حيث إن الأصول الأولى لاتتغير ، إلا أن الواقـع اللغوى يشهد بغير ذلك ، فـكم من كلمة مذكرة فى اللغـة العربية مؤنثة فى لغـة أخرى ، وكم من كلمة مؤنثة فى العربية وتذكر فى غيرها . فلو كان التذكير أصلا لما وجدنا هذه الاختلافات؛ إذ إن اللغات لاتختلف فى الأصول ، بدليل أن ما كان من الضمائر مثلا فى اللغة العربية نحو : أنا وأنت وهو وهي ونحن وهم وهن — ضمائر أيضا فى اللغـة الفرنسية .

Je, Tu, Il, Ils, Nous, Vous, Ils Elle, Elles.

وليست أسماء مثلا أو أفعـالا . وكذلك الحـال فى اللغة الإنجليزية I, You, She, We, They. فهذه هى الأصول التى لا تغير فيها . إن لفظ (عين) l'oeil مذكر فى الفرنسية بينما نحن — فى العربية — نؤنث العين ، وكذلك القدم (le peid) هذا اللفظ مذكر فى الفرنسية ، والقدم مؤنثة فى العربية ، وأيضا فان كلمة (la symphonie مؤنثة فى الفرنسية ، ونظيرها

---

(١) الخصائص لابن جنى ج ٢ ص ٤١٥ .

فى العربية مذكر (نغم ـ إيقاع ـ اتساق) . ولا يقال إن العكس هو القاعدة ، فهناك الكثير من الكلمات الفرنسية التى تتفق مع نظيراتها فى العربية نحو l'oreille الاذن ، le cheval الحصان و la guerre الحرب ، و le nez الأنف و la table المنضدة »[1] .

وما كان ذلك الاختلاف إلا لأن المذكر والمؤنث لا يحكمان بقاعدة مضبوطة بل « إن التمييز بين الأجناس النحوية لا يقوم على شىء من العقل؛ إذ لا يمكن لانسان كائناً من كان أن يقول لماذا كانت table منضدة و chaise مقعد و saliere إناء الملح مؤنثة ، فى حين كانت tabouret مقعد مطبخ ، fauteuil مقعد بجوانب sucrier إناء السكر مذكرة . وكثيراً ماتختلف الآية فى لغة مجاورة ، فيقال فى الألمانية der sessel مقعد بجوانب der stuhl مقعد ، وتقدم لنا الكلمتان de loffel ملعقة و der kegel وتد جنسا مضادا لما يقابلها فى الفرنسية على خط مستقيم la cuiller و la quille[2] .

وتتضح تلك الظاهرة أيضا ـ ظاهرة فقدان الصلة العقلية بين الاسم ومايدل عليه من تذكير وتأنيث ـ فى المقابلة بين العربية والألمانية ، يقول الدكتور رمضان عبد التواب « إننا لانجد فى كثير من الأحيان صلة عقلية

---

(١) بحث لنا بعنوان « تفسير النحاة لعلل منع الصرف » مجلة كلية آداب الاسكندرية ص ٧٥ . العام الجامعى ١٩٨٠ .

(٢) اللغة لفندريس ص ١٢٧ ترجمة الأستاذ الدواخلى والدكتور القصاص ، الانجلو سنة ١٩٥٩ م .

منطقية بين الاسم ومايدل عليه من تذكير وتأنيث ، والدليل على فقدان هذه الصلة العقلية أن من اللغات ما يعد بعض الكلمات مؤنثا وهى مذكرة فى لغات أخرى ، والعكس بالعكس . فمثلا تعد اللغة العربية : الخمر والسن والسوق كلمات مؤنثة ، فى حـــين تعدها الألمانية مذكرة ، فهى فيهـا der Markt, der Zahn, der wein ، كما تعد اللغة العربية أيضا : الصدر والأنف واللسان كلمات مذكرة ، وهى على العكس من ذلك مؤنثة فى الألمانية فهى فيها : die Nase, die Brust, die Zunge »[1] .

يضاف إلى ذلك ماذكر السيوطى فى مزهره من أن بعض الكلمات يجوز فيها التذكير والتأنيث . فكيف تكون الكلمة أصلا مرة ، ثم تنقلب فتصير فرعا مرة أخرى ؟. من هذه الكلمات التى ذكرها السيوطى « العانس : الجارية التى بقيت فى بيت أبويها لم تتزوج ، ويقال للرجل عانس أيضا . . والعروس نعت يستوى فيه المذكر والمؤنث مادامنا فى إعراسهما . يقال: رجل عروس فى رجال عرس (بضمتين) وامرأة عروس فى نساء عرائس »[2] . « الزقاق : السكة يذكر ويؤنث . قال الأخفش : أهل الحجاز يؤنثون الطريق والصراط والسبيل والسوق والزقاق والكلأ وهو سوق البصرة ،

---

(١) الدكتور رمضان عبـد التواب فى مقدمته لتحقيق كتاب البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث ص ٤٠ لابن الأنبارى . دار الكتب سنة ١٩٧٠ .

(٢) المزهر للسيوطى حـ ٢ ص ٢١ تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين ط عيسى الحلبى دون تاريخ .

وبنو تميم يذكّرون هذا كله وفيه (أى فى الصحاح الروح تذكر وتؤنث » [١] .

وشبيه بقول السيوطى ماقاله فندريس « إن عـددا كبيرا من الكلمات المنتهية بنهاية مؤنثة [٢] والتى تعتبرها اللغـة الصحيحة مذكرة حتى يومنا هذا استعملت أو مازالت تستعمل فى اللغة الدارجة على أنها مؤنثة ، ولاسيما إذا كانت مبدوءة بحركة تمنع اصطحابها لأداة مؤنثة [٣] مثل الكلمات exercice تمرين ، orage عاصفة ، auvrage عمل » . [٤]

هذه الاختلافات فى المذكر والمؤنث بين لغة وأخرى ، بل فى اللغة الواحدة يؤيد رأينا فى أن كلا منهما أصل مستقل بذاته ، وليس واحد منهما فرعا على الآخر ، إلا أن سيبويه يذهب مذهباً آخر فى تأييد رأيه أن المـذكر أصـل والمؤنث فرع يقول « وإنما كان المؤنث بهذه المنزلة ، ولم يكن كالمـذكـر ، لأن الأشياء كلها أصلها التذكير ، ثم تختص بعد ، فكل مؤنث شيء ، والشيء يذكر ، فالتذكير أول وهو أشد تمكناً » [٥]

ولا نرى هذا الرأى « فليست الأشياء كلها أصلهـا التذكير ، أو أن كل

---

(١) المزهر حـ ٢ ص ٢٢٥ .

(٢) سيأتى بيان ذلك .

(٣) سيأتى بيان ذلك .

(٤) اللغة : ص ١٢٧ .

(٥) الكتاب حـ ٢ ص ٢٢ .

مؤنث شيء ، والشيء يذكر ، لأن العرب عندماً كانت تطلق لفظ (شيء) على من المذكر والمؤنث ، لم تكن تقصد بذلك أن المذكر أصل ، ولكن هذا راجع إلى التعود اللغوي أكثر من كونه دليلا على أصلية المذكر . فالعوام عندنا يستبدلون في حديثهم كلمة (حاجة) بـ (شيء) ؛ فمن هذا مثلا (معاك حاجة) ويشير العامي بذلك إلى بضاعة مثلا ، أو (ماعملتش حاجة) قاصداً بذلك الذنب ، أو (والله ما أنا عارف حاجة) ؛ أي معلومات ، فكلمة (حاجة) هنا مؤنثة ، وهي تدل على المذكر والمؤنث كليهما . فهل تقول عندئذ إن التأنيث هو الأصل » (١)

وعلاقة التأنيث في العربية ـ كما ذكرنا ـ التاء كما في فاطمة ، والألف مقصورة أو ممدودة كما في حبلى وحمراء ، وهذه العلامة تكون في آخر الكلمة ، إلا أن هناك ألفاظا تنتهي بتاء التأنيث وليست مؤنثة كمعاوية وحنظلة وحمزة ، وألفاظاً تنتهي بالألف المقصورة وليست مؤنثة كذلك مثل الجوى والهوى ، وألفاظاً تنتهي بالألف الممدودة وليست مؤنثة أيضا مثل الفناء والغباء (ذكر هذه الالفاظ الدكتور السعران في كتابه علم اللغة ص ٢٥٥ دار المعارف ١٩٦٠ ، كما أن عكس هذه الظاهرة موجود أيضاً في العربية نحو سعاد وزينب وهند . فهذا يدل على أن هذه العلامات ليست جامعة مانعة ؛ أي ليست جامعة لكل ما هو مؤنث في اللغة مانعة من دخول المذكر وهذا شأن القوانين اللغوية

---

(١) تفسير النحاة لعلل منع الصرف ص ٧٦ ، ويلاحظ أن العرب في المملكة العربية السعودية خاصتهم وعامتهم لا يستعملون كلمة (حاجة) ، بل يستعملون كلمة شيء بعد تسهيل الهمزة .

التى تختلف فى ذلك عن قوانين العلوم الطبيعية والرياضية ، فان من شأن الاخيرة التقنين والتحديد الدقيق والجمع والمنع فعلا .

ولا علامة تأنيث فى اللغة الفارسية [1] فالضمائر للجنسين على السواء : من ، تو ، أو ، ما ، شما ، إيشان ، أنا ، أنت ، هو ، نحن ، أنتم ، هم ، وهى نفسها المؤنث .

والصفة لها صورة واحدة سواء أكانت لمذكر أم لمؤنث ، فكلمة سفيد معناها أبيض أو بيضاء، وآزاد معناها حر أو حرة أما عن الاسماء التى تتعلق بالانسان فالمعنى هو الذى يحدد الجنس ، فلفظ مرد (رجل) مذكر و بسر (ولد) مذكر أيضاً فى حين أن كلمتى زن (أمرأة) ودختر (ابنة) مؤنثتان .

أما عن الحيوان فيشترك المذكر والمؤنث فى اللفظ الواحد نحو شير للأسد

---

(١) اللغة الفارسية هى إحدى لغات الفصيلة الهندية الأوربية، وتشمل غير الفارسية (التى هى من شعبة اللغات الهندية الإيرانية) اللغات الإغريقية واللاتينية التى تفرعت منها الفرنسية والإيطالية والأسبانية ، وشعبة اللغات الجرمانية ، ومنها الإنجليزية واللغات الألمانية . وكانت المقابلة فى هذا الفصل بين لغات من هذه الفصيلة : الفارسية والفرنسية والإنجليزية والألمانية من ناحية ، وبين اللغة العربية من ناحية أخرى، وهى من فصيلة اللغات السامية الجنوبية ، وانظر كتاب علم اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى ص ١١٤ وما بعدها . النهضة المصرية سنة ١٩٤٤ م .

واللبؤة ، وكاو للثور والبقرة، وكربةالقط والقطة، وأحياناً تضاف بعد الاسم كلمة نر (بمعنى ذكر) إن أريد المذكر ، وكلمة مادة (بمعنى أنثى) إن أريد المؤنث، فيقال شيرنر : أسد ذكر وشير ماده أنثى الأسد [١].

أما في الفرنسية فيأتى الكلمة علامتا تأنيث، الاولى من طرفها والثانية قبلها، فأما التى من طرفها فتشبه التاء والألف فى العربية ، و هى فى الفرنسية حرف (e) وأما التى قبلها فأداة التعريف وهى La للمؤنث و Le للمذكر و Les للجمع بنوعيه ، فيقال le berger الراعى la bergére الراعية . واذا كانت الكلمة تنتهى أصلا بالحرف (e) فيكتفى بأداة التعريف للدلالة على جنسها ، فيقال le faible الضعيف و la faible الضعيفة. أما إذا كان الاسم نكرة فتستبدل بـ la ، le ، les الادوات une ، un ، des

---

(١) قواعد اللغة الفارسية للدكتور عبد النعيم حسنين ص ٣٠ وما بعدها. الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٠م . ولعل النقطة الأخيرة ، أى إضافة كلمة (نر) بمعنى ذكر وكلمة (ماده) بمعنى أنثي - تنطبق فى أحوال قليلة على اللغة الفرنسية ، يقول فندريس « فالكلمتان médecin طبيب ، و professeur أستاذ لا مؤنث لهما ، ونجدنا فى غاية الارتباك لتطبيقهما على المؤنث ، إذ لا نستطيع أن نقول médecine و professeuse (بنهاية المؤنث) .... فيضطر الفرنسى المهذب إلى أن يقول la femme médecin المرأة الطبيب la femme professeur المرأة الأستاذ معتبراً كلمة femme دالة نسبة تشير إلى الجنس . « اللغة ص ١٢٨ » .

فزيادة حرف (e) فى آخر الكلمة الفرنسية دلالة على تأنيثها فى الأغلب الأعم [1]، ويخرج عن هذا الألفاظ التى تتصل بالإنسان، فلكل من المذكر والمؤنث لفظ مستقل نحو le roi, la reinne الملك والملكة le pére , la mére الأب والأم ، l'homme , la femme الرجل والمرأة ، un monsieur و une damme سيد وسيدة .

وتراعى العربية عدم التقاء ساكنين فى الكلمة، أو فى الكلمتين أولاهما تنتهى بساكن وثانيتها تبدأ به ، مثل « لم يستطع » و « لعبتِ الفتاة » و « لم يكتبِ الولد » بحذف واحد من الساكنين أو كسر الأول منها، ومثل هذه الظاهرة متحققة فى الفرنسية أيضا فى المجال الذى نتكلم فيه — مجال التذكير والتأنيث — فالأداة le article و la بحذف منهما الحرفان e و a وهما من الحروف الصائتة vowels (أصوات اللين) فتصبح الأداتان l' لكل من المذكر والمؤنث، وذلك فى حالة واحدة وهى أن يكون الاسم المعرف مبدوءاً بحرف صائت أيضاً ، يستوى فى ذلك المذكر والمؤنث ، فيقال l'oeil العين ، l'éleve التلميذ ، l'homme الرجل (الحرف h لاينطبق) l'acheteur المشترى، l'image الصورة ، l'université الجامعة .

أما الانجليزية فشأنها شأن الفارسية، فلا تفريق فيها بين مذكر ومؤنث ،

---

(١) يوجد بعض الاستثناءات فى كلمات محدودة فى الفرنسية ، فتلك التى تنتهى بالحرف x يستبدل بها الحرف s ثم يضاف الحرف e مثل كسول paresseux وكسولة paresseuse ، والكلمة التى تنتهى بالحرف f يستبدل بها الحرف (v) مثل أسير captif وأسيرة captive ، والتى تنتهى بالحرف (t) تؤنث بتضعيف الحرف t وزيادة e مثل أسمر un brunet وسمراء une brunette .

ولا علامة فى آخر الكلمة المؤنثة، ولا أداة تعريف خاصة بالمؤنث دون المذكر، فيقال the other الآخر والأخرى، Sweet حلو، حلوة و beautiful جميل وجميلة، اللهم إلا الأسماء التى تتصل بالإنسان نحو girl , boy ولد وبنت، man و woman رجل وامرأة، son و daughter ابنة وابنة . father و mother أب وأم .

وهناك من يرى أن (the) كأداة تعريف للمذكر والمؤنث فى الانجليزية لم يكن لها وجود فى الانجليزية القديمة، إذا لم يكن فيها هذا الإجمال، بل كان فيها تفصيل بوجود ثلاث صيغ مختلفة للأجناس « مذكر ومؤنث ومحايد » وهى sé , séo , thaet ، ثم جمعت بين المذكر والمؤنث فى صيغة واحدة وهى the ، ثم مالبثت أن أسقطت المحايد .[١]

والمحايد جنس ثالث، لا هو بالمذكر ولا هو بالمؤنث، وليست هناك قواعد عقلية تحكمه، ونجده فى اللغة اليونانية، كذلك نجده فى الألمانية وفيها der لتعريف المذكر، die للمؤنث و das للمحايد نحو der Tisch المنضدة، die kreide الطباشير، das Haft الكراسة.

ويتصور من يسمع كلمة محايد Nautre — ولم يكن قد درس الألمانية — أنه جنس ثالث، لا علاقة له بتأنيث أو بتذكير، فيكون كل ماليس بحى كالحجر مثلا أو الطباشير أو الشاى، ثم يتضح له بعد أن يدرس الأمر جيداً أن اعتقاده كان وهماً، وأن من الألفاظ المؤنثة، ومن الألفاظ المذكرة ما كان

---

(١) اللغة لفندريس ص ١٣٠ .

المحايد أولى بها على حسب تصوره الأول ، ويتضح له أيضا أن ليس المحايد وسطاً بين المذكر والمؤنث وقد وقع فى هذا الوهم ابن رشد حين قال «والتذكير والتأنيث فى المعانى إنما يوجد فى الحيوان ، ثم قد يتجوز فى ذلك فى بعض الألسنة ، فيعبر عن بعض الموجودات بالألفاظ التى أشكالها أشكال مؤنثة ، وعن بعضها بالتى أشكالها أشكال مذكرة . وفى بعض الألسنة ليس يُلفى فيه للمذكر والمؤنث شكل خاص ، كمثل ما حكى أنه يوجد فى لسان الفرس ، وهذا يوجد فى الأسماء والحرف ، وقد يوجد فى بعض الألسنة أسماء هى وسط بين المذكر والمؤنث ، على ماحكى أنه يوجد كذلك فى اليونانية »[1]

والحقيقة أن ليس هناك قاعدة تضبط الأجناس الثلاثة في الألمانية ، فمن المؤنث ما هو جماد ، وما هو من الأحياء ، وكذلك الأمر فى المذكر . ومن المحايد ماهو عاقل وماهو من الجماد ، والتمعن فى الأسماء الآتية يزيد الباحث حيرة ، حتى إنه يخلص من ذلك كله أن ليس هناك قاعدة تحكم الأجناس الثلاثة :

---

(١) تلخيص الخطابة ٥٦٩/٥ . تحقيق محمد سليم سالم القاهرة ١٩٦٧ .

das	محايد	die	مؤنث	der	مذكر
Buch	كتاب	kreide	طباشير	Herr	سيد
Wasser	ماء	Insel	جزيرة	Tisch	منضدة
Haus	منزل	Person	شخص	FluB	نهر
Kind	طفل أو طفلة	Mutter	أم	Vater	أب
Mädchen	بنت ، فتاة	Lektion	درس	Brunder	أخ
		Schwester	أخت		

على أن هناك شيئا في التأنيث في اللغة العربية ، نود أن نختتم به درسنا في التذكير والتأنيث، وهو أن اللغة العربية ، في جزئية من جزيئات الدرس اللغوى في التأنيث ، قد اتبعت العقل وسارت مع المتفق عليه منطقيـا ، ذلك أن علامة التأنيث إنما جاءت لكى تفرق بين المؤنث والمذكر، فاذا كانت الصفـة خاصة بالمؤنث من الناحية الحيوانية Biological ، فلا داعى أبداً لإنهائها بعـلامة التأنيث (التاء أو الألف) وذلك نحو امرأة حائض وطامث ومرضع وحامل، فالحيض والطمث والإرضاع والحمل من صفات المرأة الجسمانية ، ومن ثم كان من المنطقى ومن المعقول ألا نقرنها بحرف التأنيث لأمن اللبس من أن تكون لرجل. كذلك الشأن لو كان الأمر متعلقا بما اتفق عليه اجتماعيا أنه من خواص المرأة، نحو امرأة ناشز وامرأة طالق ، فوقوع النشوز والطـلاق إنما يكون على المرأة دون الرجل .

النكرة والمعرفة

ننتقل بعد ذلك إلى المعرفة والنكرة ، ونبادر فنقول إن ما قاله النحويون في أصلية النكرة وفرعية المعرفة صحيح ، ذلك لأن الأشياء - أيا كانت - تكون في أول أمرها مجهولة غير معروفة ، ثم تعرف بعد ذلك ويستبين أمرها ، فتصير معرفة ، وهذا أمر عقلي له علاقة لا باللغة العربية وحدها ، بل باللغات جميعا وطرق التفكير الانساني بوجه عام وقد برر النحاة منع صرف العلم بفرعية المعرفة وأصلية النكرة ، كما برروا منع صرف المؤنث بفرعية المؤنث وأصلية المذكر(١).

وعلامة النكرة أن تقبل دخول رب عليها (٢) ، وكنا قد أشرنا في درس التأنيث والتذكير إلى بعض أدوات التعريف والتنكير في اللغات التي تعرضنا لها بالتطبيق ، ورأينا أن اللغة الفارسية لا تفرق بين الاسم حالة كونه معرفا أو منكراً ، هذا هو الأغلب الأعم ، إلا أن هناك حالات قد يميز فيها النكرة بزيادة ياء في آخره ، تسمى ياء التنكير ، أو قد يسبق بلفظ (يك) بمعنى واحد ، فاذا لم توجد الياء أو كلمة (يك) كان الاسم محتملا الوجهين النكرة

---

(١) السيوطي : همع الهوامع شرح جمع الجوامع حـ ١ ص ٥٤ و ٥٥ دار المعرفة بيروت دون تاريخ والزجاج : ما ينصرف وما لا ينصرف ص ٤ تحقيق هدى قراعة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧١ .

(٢) ابن هشام : شذور الذهب ص ١٧٣ .

والمعرفة، ما لم توجد قرينة تحدد احدهما[1]. أما فى الانجليزية فان الحرف a موضوعا قبل الاسم دليل على تنكيره نحو a book ، فاذا كانت الكلمة النكر مبدوءة بحرف صائت vowel استبدل بالحرف a الحرفان an نحو an ox ثور an egg بيضة. واشرنا إلى أن ادوات التنكير فى الفرنسية une للمؤنث ، un للمذكر ، des للجمع بنوعيه.

وفى الأبواب النحوية التى تشترك فيها المعرفة والنكرة، ويتحدد دور الإعراب والبناء تبعا للتعريف والتنكير ، نلاحظ شيئا يستحق التسجيل ، ذلك أن الإعراب قد جاء لبيان شيء وتعينه وتحديده ، أو لإزالة اللبس والغموض عنه ، والبناء عكس ذلك ، أى يكون للكلمات التى لا تستدعى جلاء أو إظهارا، وليس فيها غموض يراد إزالته . فاذا كان الاسم معرفة ـ والمعرفة واضحة لا لبس فيها ولا غموض ـ كان البناء بها أولى ، أما النكرة فيستقيم فيها الإعراب لكى نزيل ما بها من إبهام وغموض . يتضح هذا فى باب النداء ، فالمنادى المفرد العلم لا يحتاج إلى توضيح أو إزالة لبس أو غموض ، لذلك كان البناء به أولى فعندما تقول (يا محمد) بضم الدال ، لم يكن هناك داع للاعراب ، أى للاظهار أو التعيين ، لأن (محمداً) المنادى أمامك ، ولا احتمال للبس بأن يكون المنادى غيره وكأنك عندما تقول (يا محمد) قلت (ياأنت) أو (يا أياك) ، وهكذا الحال تماما فى النكرة المقصودة ،صحيح أنها نكرة، ولكنها مقصودة ، أى معينة محددة ، وليست نكرة شائعة . اما إذا كانت نكرة غير مقصودة فان الإعراب يتحتم فيها فى قول الأعمى (يا رجلا

---

(١) عبد النعيم حسنين : قواعد اللغة الفارسية ص ٣٤ .

خذ بيدى) يقع هذا النداء على أى رجل ، و ليس على رجل معين دون غيره ، ومن ثم وجب إعراب هـذا المنادى ، لإشعـار كل من يسمعه وينطبق عليه مفهوم رجل أنه مقصود بهذا النداء .

وهذه العلاقة ـ علاقة النكرة والمعرفة بالبناء و الإعراب ـ تتضح ايضا فى إعراب كلمة (أمس) و بنائها ، فالنحاة متفقون على بنائها إذا أردت بها يوماً معينا،هو اليوم الذى قبل يومك، أى أن(أمس) هنا محددةالمعالم،واضحة المفهوم ، مثلها فى ذلك مثل المعرفة ، فلا لزوم إذن للاعراب أو للتبيين ،وكان البناء أولى بهـا . أما إذا أريد بأمس يوم من الأيام الماضية ، دون تعيـين أو تحديد كان الإعراب من نصيبها [1].

أما فى باب (لا النافية للجنس) فنجد عكس هذه العلاقة، أى أن النكرة تبنى ، والمعرفة تعرب ، وليس ذلك خرقا للقاعدة ، بل هو ملائم لمعنى لا النافية للجنس ، إذ إن النكرة فى باب لا النافية للجنس ، أى عندما تقع اسمالها تفيـد

---

(١) أنظر شرح شذور الذهب ص ١٣٦ وما بعـدها ، وقد جاء به أن للعرب فى (أمس) إذا أردت به يوما معنيـا وهو اليـوم الذى قبلك ثلاث لغات .

ا ـ البناء على الكسر مطلقا وهى لغة أهل الحجاز .

ب ـ إعرابه إعراب ما لا ينصرف وهى لغة بعض بنى تميم .

جـ ـ « « » « « فى حالة الرفع خاصة ، وبنـاؤه على الكسر فى حالتى النصب والجر وهى لغة جمهور بنى تميم . ومن هذا يتضح أن البناء على الكسر هو الأرجح والأفصح ولا يعتد بلغة أفراد بنى تميم .

الشمول والعموم ، ولا تفيد التخصيص ، ومن ثم فلا داعى للاعراب الذى يفيد التخصيص والتعيين ،ففى قولنا (لا رجل فى الدار) ننفى جنس الرجال فى الدار ، وليس رجلا معينا . لذلك كان البناء أولى وأنسب ؛ لأنه مطابق لاستغراق جنس الاسم كله بعكس الإعراب الذى فيه تخصيص وتعيين(٢) .

وكون النكرة فى مثل قولنا (لا رجل فى الدار) تفيد العموم والشياع ولاتحتاج إلى إعراب، لأنها ليست فى حاجة إلى إظهار أو تعيين أو تخصيص بنى عليه البصريون رأيهم في عدم جواز توكيد النكرة توكيدا معنويا ؛ لأن التوكيد يدل على التخصيص والتعيين ، وكل واحد منها ضد صاحبه . يقول البصريون فيما نقل عنهم صاحب الإنصاف « الدليل على أن تأكيد النكرة غير جائز من وجهين :

أحدهما : أن النكرة شائعة ليس لها عين ثابتة كالمعرفة، فينبغى أن لا تفتقر إلى تأكيد ، لأن تأكيد ما لا يعرف لا فائدة فيه . وأما قولهم: « رأيت درهما كل درهم ، وما أشبه ذلك، فهو محمول على الوصف لا على التأكيد .

والوجه الثانى : أن النكرة تدل على الشياع والعموم ، والتوكيد يدل على التخصيص والتعيين ، وكل واحد منها ضد صاحبه ؛ فلا يصلح أن يكون

---

(١) أنظر الكتاب حـ ١ ص٣٤٥ ، وأسرار العربية لابن الأنبارى ص٩٩ طبقة ليوم ١٨٨٦ م ، والأنصاف مسائل الخلاف لابن الأنبارى أيضاً حـ ١ ص ٢٢٥ ط محمد على صبيح سنة ١٩٥٣ . ومغنى اللبيب لابن هشام جـ ١ ص ٢٣٨ التجارية سنة ١٩٦٨م .

مؤكداً له ، ولو جوزنا ذلك لكنا قد صيرنا الشائع مخصصاً، وهذا ليس تأكيده بل هو ضد ما وضع له ؛ لأن التأكيد تقرير ، وهذا تغيير ، ولهذا المعنى امتنع أن يجوز وصف النكرة بالمعرفة، أو المعرفة بالنكرة؛ لأن كل واحد منها ضد صاحبه ؛ لأن النكرة شائعة والمعرفة مخصوصة ، والصفة فى المعنى هى الموصوف ، ويستحيل أن يكون الشىء الواحد شائعا مخصوصا فى حال واحدة ، فكذلك ها هنا » (١)

وأنواع المعرفة جمعها ابن مالك فى قوله :

وغيره معرفة : كهم وذى

وهند وابنى والغلام والذى

أى غير النكرة للمعرفة وهى ستة أقسام . المضمر كهم ، واسم الإشارة كذى ، والعلم كهند ، والمحلى بالألف واللام كالكلام ، والموصول كالذى ، وما أضيف إلى واحد منها كابنى (٢) .

والتقابل هنا يظهر فى تبويب هذه المعارف، فالمعرفة défini (٣) فى الفرنسية: أسماء الأعلام ، وما كان مقترنا بـ le ، la ، les من الأسماء . أما الضمائر les pronoms فيها فهى باب مستقل يشتمل على :

---

(١) ابن الأنبارى : الإنصاف حـ ١ ص ٢٦٦ – ٢٦٧ .

(٢) شرح ابن عقيل ١ / ٨٧ .

(٣) لعل فى ترجمة هذه الكلمة défini بالمحدود أو المنتهى رمزاً للمعرفة حيث إنه ينطبق على واحد بعينه ، وكلمة indéfini (نكرة) أى غير المحدود أو غير المنتهى ، إشارة إلى شياع النكرة وعمومها .

١ ـ الضمائر الشخصية les pronoms perssonnels

مثل Je , Tu , Il ....

٢ ـ ضمائر الوصل les pronoms relatifs

(وتقابل الأسماء الموصولة) qui , que

٣ ـ ضمائر الملكية Les pronoms possessifs

mon , ma , ton , ta ....

le mien , le tien , le sien ie nôtre ....

٤ ـ ضمائر الاشارة les pronoms démonstratifs

ce , celle , ceux , celles ....

٥ ـ الضمائر المبهمة Les pronoms indéfinis

On , Tout , Chacun ....

فالتبويب مختلف كما رأينا ، فأسماء الإشارة والأسماء الموصولة تدخل فى الضمائر ، والإضافة لا محل لها هنا ، ويشابه هذا التقسيم التقسيم فى الإنجليزية إلى حد كبير . فالضمير فيها pronomu باب مستقل تماما من المعارف ومن أنواعه الضمائر الشخصية : I , He . She , We . You . They.

وضمائر الملكية my, his, her. their, our

وضمائر النصب me, him, her, them, us

وضمائر الإشارة Thies, That, These, Those

وفي مجال التقابل أيضا تحضرنا الأعلام التي أخذتها من العربية اللغات غير العربية كالفرنسية والانجليزية واليونانية .. ومنها : (١)

جمل Chameau و Camel ، وخليفة Calife Caliph ، وكافور Comphre و Kamphor ، وياسمين Yasmin Jessamine وغزال Gazelle و Gazelle في العربية والفرنسية والإنجليزية على الترتيب، وبيت ابن مالك :

وغيره معرفة كهم وذى

وهند وابنى والغـلام والذى

يرتب المعارف على النحو التـالى :

١ ـ الضمير . ٢ ـ اسم الإشارة . ٣ ـ العلم . المضـاف إلى معرفة . ٥ ـ المحلى بالألف واللام . ٦ ـ الاسم .

وهذا الترتيب لا يدل على اقتناع ابن مالك به ، بل دعت إليه الضرورة الشعرية وحرف الروى . وقد اختلف النحاة فى ترتيب المعارف، ولم يغفل عن أحدهم هذا الترتيب « فلقد ذهب الكوفيون إلى أن الاسم المبهم (يعنى اسم الإشارة) نحو (هذا وذاك) أعرف من الاسم العلم نحو (زيد وعمرو) ، وذهب البصريون إلى أن الاسم العلم أعرف من الاسم المبهم ، واختلفوا فى مراتب المعارف ، فذهب سيبويه إلى أن أعرف المعارف الاسم المضمر ، لأنه لا يضمر إلا وقد عرف ، ولهذا لا يفتقر إلى أن يوصف كغيره من المعارف ، ثم الاسم العلم ، لأن الأصل فيه أن يوضع على شىء لا يقع على غيره من أمته،

---

(١) رفائيل نخلة اليسوعى : غرائب اللغة ص ٢٢٢ ـ ١٥٤ بيروت ١٩٦٠م وأنظر ص ٣٧ من هذا البحث .

(أى من نوعه) ، ثم الاسم المبهم ، لأنه يعرف بالعين والقلب ، ثم ما عرف بالألف واللام ، لأنه يعرف بالقلب فقط ، ثم ما أضيف إلى أحد هذه المعارف ، لأن تعريفه من غيره ، وتعريفه على قدر ما أضيف إليه [١] .

ولسنا ننكر أن بعض هذه الألفاظ قد وردت عن سيبويه ، كما أن تعليله لهذه الأسبقية تعليل مقبول لا تعسف فيه ولا التواء ، إلا أن النص بعينه وحرفه لم يقله سيبويه وإنما قال :

« فالمعرفة خمسة أشياء : الأسماء التى هى أعلام خاصة ، والمضاف إلى معرفة إذا لم ترد معنى التنوين ، والألف واللام ، والأسماء المبهمة ، والإضمار [٢] . فأما العلامة اللازمة المختصة فنحو زيد .. وإنما صار معرفة لأنه اسم وقع عليه يعرف به بعينه دون سائر أمته ، وأما المضاف إلى معرفة فنحو قولك : هذا أخوك ... وإنما صار معرفة بالكاف التى أضيف إليها ، لأن الكاف يراد بها الشىء بعينه دون سائر أمته ، وأما الألف واللام فنحو البعير والجمل ... وإنما صار معرفة ، لأنك أردت بالألف واللام الشىء بعينه دون سائر أمته ... وأما الأسماء المبهمة فنحو هذا وهذه .. وإنما صارت معرفة ، لأنها صارت أسماء إشارة إلى الشىء دون سائر أمته ، وأما الإضمار فنحو هو وإياه وأنت ... وإنما صار الإضمار معرفة ، لأنك إنما تضمر اسماً بعد ما تعلم أن من تحدث قد عرف من تعنى أو ما تعنى وأنك تريد شيئاً بعينه » [٣].

---

(١) ابن الأنبارى : الإنصاف حـ ٢ ص ٤١٧ .

(٢) يلاحظ أن هذا الترتيب مخالف لما أورده صاحب الإنصاف .

(٣) الكتاب حـ ١ ص ٢١٩ و ٢٢٠ ومكان النقط تفصيل ، حذفه لا يخل باتصال الموضوع ، ولا بالغرض الذى من أجله أتينا بالنص .

وهناك من الأسماء المعرفة ما لا يدخلها الألف واللام، وهناك عكسها وقد ذكرها السيوطي في مزهره ، ومنها (كحل) للسنة الشديدة الجدباء ، و (شعوب) للمنية ، و (عنيدة) للمائة من الإبل ، و (ذكاء) للشمس ، وعرفة (اليوم المعروف) وهاوية (من أسماء النار) . والعكس نحو كل وبعض فلا يقال الكل والبعض ، لا تدخلها الألف واللام ؛ لأنهما معرفتان في نية إضافة [١].

وهذه الأسماء وأمثالها قلة لا يعتد بها ، ولا يقاس عليها ، ويلاحظ أن منها أعلاماً لا تقبل الألف واللام ، كعرفة وهاوية ، مثلها في ذلك مثل دجلة وأسامة .

---

(١) المزهر ج ٢ ص ١٥٧ وما بعدها .

المفرد والمثنى والجمع

نأتى بعد ذلك إلى المفرد والمثنى والجمع ، ويقودنا هذا إلى فكرة العدد ، وهو من الفصائل النحوية grammatical categories التى ذكرها اللغويون المحدثون ، ومثله فى ذلك فصيلة الجنس (مذكر ومؤنث) وفصيلة التعريف والتنكير وفصيلة الزمن ... (١)

وقبل أن نتكلم عن فصيلة العدد (المفرد والمثنى والجمع) ، ونبين أن المفرد أصل الكل من المثنى والجمع ، نحب أن نشير إلى خصيصة فى هذه الفصيلة ، تعد مغايرة لنظيرتها فى فصيلة الجنس ، فلقد بينا من قبل أن ليس هناك علاقة منطقية بين الاسم وبين ما يدل عليه فى اللغة من تذكير أو تأنيث ، أو كما يقول فندريس « إن التمييز بين الأجناس النحوية لا يقوم على شىء من العقل » (٢) أما فى هـذه الفصيلة التى ندرسهـا فنرى أن العدد الحسابى مطابق تماماً للعدد اللغوى ، ولا فرق بين الاثنين ، خلافاً لما رآه بعض المحدثين من أن التطابق بين العدد الحسابى والعدد فى اللغة معدوم (٣) . فالواحد فى الحساب هو الواحد فى اللغة ، والاثنان فى الحساب هما الاثنان اللغة ، والثلاثة فى الحساب هم الثلاثة

---

(١) انظر فندريس : اللغة ص ١٢٥ وانظر د. كمال بشر : دراسات فى علم اللغة (القسم الأول) ص ٣٠ دار المعارف سنة ١٩٦٩ م .

(٢) اللغة ص ١٢٧ .

(٣) انظر تمام حسان : مناهج البحث فى اللغـة ص ٢٢٠ وما بعـدها . دار الثقافة سنة ١٩٧٤ م .

فى اللغة ، لا فرق ؛ لأن هـذا شىء يتصل بالمنطق أو يتصل بترتيب الأشياء ترتيباً تصاعدياً من واحد إلى اثنين . . . ، وفى هذا المجال نذكر أن اللغة هى الوسيلة التى يعبر بواسطتها عن الحساب والكيمياء والجغرافيا والأدب والنحو . . . ، فكيف يختلف المفهومان ؟ !

ويعترض على ذلك (أى على التطابق بين مفهوم العدد فى الحساب ومفهومه في اللغة) بأن هناك أساليب ومفردات تدل على الجماعة وتستعمل فى اللغة على أنها مفردة ، ويكون ذلك فى المكاتبات الحكومية نحو (نحيطكم علماً) و (تفضلوا بقبول . . .) و (على أن نتسلم العينات . . .) ، أو فى صور المراسيم الجمهورية أو الملكية نحو (نحن رئيس جمهورية مصر) أو (نحن ملك المملكة أمرنا بكذا . .) فكل هذه الأساليب ونحوها أساليب جمع لغوياً وهى تدل على المفرد .

والرد على هذا الاعتراض هيّن يسير واضح ، فهذا الجمع مجاز وليس حقيقة ، فقد استعمل لغرض بلاغى ، ومقصود به الاحترام والتعظيم والتبجيل للمخاطب المفرد ، أو للمتكلم المفرد ، ونلاحظ أن هذا الأسلوب ربما كان فيه تأثر بالأسلوب القرآنى ، فهناك كثير من الآيات الكريمة يخاطب الله فيها عباده ، فيتكلم عن نفسه سبحانه بصيغة الجمع ، كقوله سبحانه وتعالى « إنّ إلينا إيابهم ثم إنّ علينا حسابهم »[1] . وقوله « لقد خلقنا الإنسان فى

(١) الغاشية : ٢٥ و ٢٦ .

كبد »(١) وقوله « ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين »(٢).

وهناك من العوام من يقول (الجماعة وضعوا) أو (جماعتى فى البيت) قاصداً بذلك زوجته ، وليس هذا بدليل على أن الجمع فى اللغة هو المفرد فى الحساب ؛ لأن مثل هـذا القول ناتج عن عادة اجتماعية وهى كراهية أن يذكر الرجل العامى زوجته بكلمة زوجتى أو امرأتى أو فايزة أو خديجة : فيقول (الجماعة) كناية عن ذلك، فهى عادة اجتماعية لا أكثر.

وإذن فيخطىء من يقول بانعدام الصلة بين مفهوم العدد فى الحساب ومفهومه فى اللغة .

ننتقل الآن إلى قضية الأصل والفرع فى المفرد والمثنى والجمع ، ونبادر فنقول إن النحاة كانوا على صواب عندما رأوا أن المفرد أصل لكل من المثنى والجمع (٣) .

ونحن (٤) نوافقهم على ذلك ؛ لأن هذا أمر عقلى ، فالمفرد أولا ثم يأتى

---

(٢) البلد : ٤ .

(٢) البلد : ٨ و ٩ و ١٠ .

(٣) انظر فى ذلك المبرد : المقتضب حـ ٢ ص ١٠٣ تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٥ هـ وابن الأنبارى : أسرار العربية ٤٨ و ٤٩ ، وابن يعيش فى شرحه على مفصل الزمخشرى حـ ١ ص ٥١ ط المنيرية بمصر . والسيوطى فى همع الهوامع حـ ١ ص ٢١ و ٢٢ .

(٤) لاحظ كلمة (نحن) هنا، فهى جمع والمقصود بها واحد وهو الباحث، وليس هذا تعظيما، وإنما هو ما اعتاده الكتاب والباحثون.

بعد ذلك المثنى والجمع ، وما كان المثنى والجمع لو لم يكن المفرد أولا حتى من ناحية التصور ؛ لأننا لا نستطيع أن نتصور اثنين أو ثلاثة إلا بعد أن نتصور الواحد قبلها .

ويدل على أصلية المفرد أيضاً ، ما ورد فى همع الهوامع من أنه لا يجوز تثنية إلا من كان مفرداً ، فلا يجوز البتة تثنية المثنى والجمع . [١] كذلك يذكر ابن يعيش فى شرحه على مفصل الزمخشرى أن الزيدين أصلها زيد وزيد [٢] ، ويقابل هذا ما جاء فى معجم لاروس من أن : Deux = un plus un [٣] ويدل على ذلك أيضاً ما رواه ابن الشجرى « قد يعبر عن المثنى بتكرار اللفظ كما فى أعطيتك ألفاً وألفاً ، وقد صفحت لك عن جرم وجرم » [٤].

ولا يقال فى مجال معارضة هذا الرأى : إن هناك ألفاظاً فى اللغة مثناة لا مفرد لها كتلك التى أوردها السيوطى نحو « الملوان : الليل والنهار وهما الجديدان والأحران والعصران ، ويقال العصران الغداة والعشى ، وهما الفتيان والردفان . . . والأبيضان : اللبن والماء » [٥] ، لا يقال هذا ، فتلك

---

(١) السيوطى : همع الهوامع ﺣ ١ ص ٤٢ .

(٢) شرح المفصل ﺣ ٤ ص ١٤٧ .

(3) La Rousse du xxe Siècle. Publié suos directon de Paul Augé Libracie-ha Rouese Paris 1925.

(٤) ابن الشجرى : الأمالى الشجرية ﺣ ١ ص ١١ .

(٥) المزهر ﺣ ٢ ص ١٧٣ وما بعدها .

ألفاظ مثناة لا مفرد لها من لفظها ، ولكن لها مفرداً من معناها ، ولما كان مفرداها غير متشابهين لفظا (الليل والنهار) (الغداة والعشى) (اللبن والماء) لم يكن ممكنا تثنيتها من حيث اللفظ ، فكانت التثنية من حيث المعنى .

إذن فالمفردان موجودان لتلك الألفاظ المثناة ، إلا أنهما اختلفا لفظاً ، يدل على ذلك ما أورده السيوطى فى الموضع نفسه من ألفاظ مثناة لها معنيان ، فالأبيضان كلمة تدل على الشحم واللبن ، وتدل أيضاً على الملح والخبز . والأحمران تدل على الشراب واللحم ، وتدل أيضاً على الذهب والزعفران .

ولا يقال أيضاً فى معارضة هذا الرأى إن السيوطى ذكر ألفاظاً جمعاً لا يعرف لها واحد ، فهى ألفاظ قليلة جداً بل هى معدومة ، بالإضافة إلى ـ وهذا هو المهم ـ أن معناها واحد ، وليس لها من الجمع إلا صيغة (مفاعل ومفاعيل) مثل : مماهيج ، فهى موضع لجزيرة بين عمان والبحرين، وأثافت موضع باليمن ، وأثارب موضع بالشام، ومعافر موضع باليمن [١] .

وعلى هذا المنوال سار السيوطى فى تصنيفاته فى هذا الموضع فأفرد باباً ثالثاً « لذكر الألفاظ التى معناها الجمع ولا واحد لها من لفظها »[٢] ، ورابعاً فى « ذكر ما يفرد ويجمع ولا يثنى »[٣] . وخامساً فى

---

(١) المزهر حـ ٢ ص ١٩٧ .

(٢) المزهر حـ ٢ ص ١٩٩ .

(٣) المزهر حـ ٢ ص ٢٠٠ .

« ذكر ما يفرد ويجمع ولا يثنى[١] » ، وسادساً فى « ذكر ما لا يثنى ولا يجمع »[٢] وكلها أبواب مبنية على ألفاظ قليلة بلغت فى بعض الابواب إلى ثلاثة ألفاظ بل إلى لفظين، مما ينفى بناء قاعدة عليها، بالإضافة إلى الشك فى المرويات أو فى بعضها بحيث إن السيوطى مغرم بذكر الباب ثم ذكر ماينافضه، فأذا ذكر المفرد الذى لامثنى له، يذكر ما يقابله وهو المثنى الذى لا مفرد له .. وهكذا . وربما دفعه ذلك إلى أن يبنى الباب على لفظين أو ثلاثة .

وقد بنى القدماء على أصلية المفرد وفرعية المثنى والجمع أن ما يعرب به المفرد (وهو الأصل) أصل ما يعرب به المثنى والجمع (وهما فرعان) فرع ، أى أن حركات الإعراب أصل لحروفه [٣]، وبذلك تكون حركات الإعراب أسبق من حروفه .

ويستدلون على ذلك أيضا بأن حروف الإعراب ناتجة عن إشباع ما يماثلها حركات من الإعراب، فالضمة إذا أشبعت نتج عنها واو ، والفتحة إذا أشبعت نتج عنها ألف ، والكسرة إذا أشبعت نتج عنها ياء .

---

(١) المزهر حـ ٢ ص ٢١١ .

(٢) المزهر حـ ٢ ص ٢٠٩ .

(٣) انظر ابن الأنبارى : أسرار العربية ص ٤٨ و ٤٩ وابن يعيش : شرح المفصل حـ ١ ص ٥١ والسيوطى : همع الهوامع حـ ١ ص ٢١ و ٢٢ وانظر من المحدثين د. حسن عون ــ رحمة الله عليه ــ فى اللغة والنحو ص ٨٣ ط رويال الاسكندرية ١٩٥٢ .

ووجود المثنى فى العربية هو وجه الاختلاف فى فصيلة العدد بينها ، وبين ما نأخذه من اللغات الهند وأوربية ميدانا للتقابل : كالفرنسية والإنجليزية والفارسية ، فكلها لا مثنى فيها ، وقد فصل فندريس القول فى اللغات التى بها مثنى والتى لا يوجد بها فقال «فمن اللغات ما كان فيها أو ما يزال فيها مثنى . والهندية الأوربية كان فيها مثنى أبقى عليه الزمن التاريخى فترةطويلة أوقصيرة على حسب اللغات ، ثم أبعد عنها جميعاً تقريباً شيئا فشيئاً ، ففى الهند نجد المثنى فى السنسكريتية ، فيدية كانت أم كلاسيكية ، وذلك علـى عكس البراكريتية والبيالية اللتين فقدتاه . وكانت الفارسية القديمة والزندية تستعملانه فى صرامة ، ولا يوجد منه أثر فى اللغة الفهلوية ، ولا يوجد المثنى فى الأرمينية ولا فى اللاتينية منذ أقدم تاريخ نعرفه لها»[١] .

وربما أخذ بعض اللغويين المحدثين وجود المثنى فى اللغه دليلا على تخلفها ، إذ يرون أن اللغات عندما ترتقى تتخلص من ظاهرة المثنى ، وهذا دليل على المدينة «والاحتفاظ بالمثنى يبدو كما لو كان دليلا على حضارة متأخرة ، واختفاؤه على العكس من ذلك يدل على تقدم الحضارة »[٢] .

وعندى أن هذا القول بعيد عن الصواب ، ولا يحمل أى دليل على صحته ، لأن الشياع والتعميم ـ بمعنى وضع المثنى والجمع فى طبقة واحدة وعدم الفصل بينهما ـ ليس من تقدم التفكير ولا المدنية فى شىء ، بل أن الدقة والتقنين وعدم

---

(١) اللغة : ص ١٣٣ .

(٢) اللغة ص ٤٣٠ .

المساواة بين الاثنين والثلاثة هو من المدنية والتقدم الفكري والحضاري، فالمثنى غير الجمع، وما كان لاثنين غير ما يكون لثلاثة .

أما ما يقال من أن اللغات البدائية غير قادرة على التعميم والتجريد، فهذا له مجال آخر، ومواضع أخرى ليس منها موضوعنا هذا، ذلك أن البدائيين لديهم كلمات كثيرة عن شيء واحد فهناك مثلا لفظة تعبر عن (قطع) ثمرة المانجو، وأخرى عن (قطع) ثمرة الموز، وثالثة عن (قطع) غصن شجرة وهكذا قد تجد خمسين كلمة تعبر كل منها عن (قطع) شيء بعينه ، ولكن ليس لديهم كلمة واحدة تعبر عن (القطع) نفسه كصفة عامة، وقد تجد عند البدائيين كلمات كثيرة عن الطيور والأسماك والأشجار على اختلاف أنواعها، ولكنك قد لاتجد كلمة عامة تطلق على (طائر) أو (سمك) أو (شجرة) وهكذا » (١) .

أما في مجالنا هذا (مجال التفرقة بين الاثنين وبين ما كان أكثر من الاثنين) فيقال فيه « إن اللغات البدائية عاجزة عن التعبير تعبيراً دقيقاً محدوداً ، وذلك لأن مفرداتها محدودة جدا ، وهذه خصيصة تناقض الخصيصة السابقة (يقصد ماذكره آردنر في الفقرة السابقة) ، فعلى حين رأينا كلمات كثيرة تطلق كل منها على شيء وبذاته دون أن تكون هناك كلمة واحدة تدل على هذا الشيء (مجردا)، نرى هنا نقصا كبيرا في المفردات (٢) ، بحيث تطلق اللفظة الواحدة

---

(1) Ardener, Social Anthropology and Languge p. 13, Tayistok publication, London 1971.

(٢) نطبق هذا على مجالنا فنقول ، مفردات المثنى ومفردات الجمع .

على أشياء كثيرة ،قد لا يكون بينها رابط ما ، ويتحدد المقصود بعوامل خارجية »[١] .

ولا يقال لم لا يكون للثلاثة لفظ خاص بها كالاثنين، ولم لا يكون للأربعة لفظ ... ؟ فنحن إذا فتحنا هذا الباب فلن نستطيع إغلاقه ، لأننا سنصل إلى ألف وزيادة ونطالب بأن يكون لكل ماقبله من المعدودات لفظ خاص به ، أضف إلى ذلك أن ظاهرة المثنى فى اللغة لها شواهد الكثير فى حياتنا العملية تؤيد لزومها كاليدين والرجلين والعينين والزوجين والليل والنهار والسماء والأرض والذكر والأنثى والجنة والنار .

ويبنى على خطأ من قال : إن التخلى عن التثنية دليل على المدنية والتقدم خطأ من قال « إن العربية كانت فى طريقها إلى التخلى عن التثنية بحيث يبقى فيها صنفان للعدد: الإفراد والجمع، شأنها فى ذلك شأن اليونانية، يدل على ذلك اضطراب الإعراب فى المثنى قبل الاسلام . إلا أن هناك عاملين ساعدا على بقاء صيغة المثنى وهما :-

١ - استعمال القرآن الكريم لهذه الصيغة فمنحها القوة حتى تبقى وتعيش .

٢ - التقدير والاحترام اللذان اكتسبتهما العربية حيث إنها لغة القرآن والعرب الفاتحين ، فأعطاها ذلك شيئاً من التقديس فلم تتعاور عليها مظاهر التطور اللغوى [٢] .

---

(١) د. عبده الراجحى : اللغة وعلوم المجتمع ص ١٧و١٨ الاسكندرية سنة ١٩٧٧ .

(٢) د. حسن عون : دراسات فى اللغة والنحو العربى ص ٥٦ وما بعدها بتصرف معهد البحوث والدراسات العربية سنة ١٩٦٩م .

والخطأ هنا لا يكمن فى العاملين ، إنما يكمن فى افتراض تلاشى ظاهرة المثنى واختفائها ، لولا وجود هذين العاملين، فاللغة العربية ـ كما سبق أن بينا ـ تميل إلى الدقة والتقنين لذلك وجد المثنى . هل تقول إن اللغة التى تسوى بين الاثنين والثلاثة هى اللغة المتمدينة،الدقيقة ، اللغة التى تميل إلى الشياع والتعميم أو تقول إن اللغة الحضارية هى التى تقول هذان اثنان وهؤلاء ثلاثة . ؟

كما أننا بينا من قبل شواهد عديدة لوجود المثنى فى حياتنا العملية ولست أدرى لم يكون شأن العربية كشأن اليونانية أو لم تؤخذ اليونانية مقياساً ، يطبق ماحدث فيها على غيرها من اللغات؟ إن لكل لغة طبيعتها وتطوراتها . وما حدث فى لغة ما ليس لازما أن يحدث فى لغة أخرى .

وطريقة التثنية فى اللغة العربية إضافة ألف ونون فى حالة الرفع وياء ونون فى حالتى النصب والجر ، وكان هناك من القبائل من يلزم المثنى الألف ثم يعربه بحركات مقدرة على الألف ، أو ظاهرة على النون [١] ،وليس هذا إلا تطوراً فى الإعراب وانتقالا من التعميم والشمول إلى التخصيص والتقنين،ولذلك قال الشيخ محمد محيي الدين رحمة الله عليه فى البيت :

وصـدر مشرق النحــر   كأن ثدييه (ثدياه) حقان

« ولا داعى لما أجازه الشارح على رواية (كأن ثدياه) من أن يكون

---

(١) أنظر فى ذلك جمع الهوامع ١٤٣/١ وشرح المفصل ٨٢/٨ وشواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ص ٩٧ لابن مالك تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار العروبة سنة ١٩٥٧م وغيرها من المراجع فى باب المثنى .

(ثدياه) اسم كأن ، أتى به الشاعر على لغة من يلزم المثنى الألف ، فان فى ذلك شيئين ، كل واحد منهما خلاف الأصل ، أحدهما أن يجيء المثنى فى الأحوال كلها بالألف لغة مهجورة قديمة لبعض العرب . ثانيهما أن فيه حمل البيت على القليل النادر — وهو عدم ذكر اسم كان — مع إمكان حمله على الكثير المشهور ، والذى يتعين على المعربين ألا يحملوا الكلام على وجه ضعيف متى أمكن حمله على وجه صحيح راجح »[1] .

فالزام المثنى الألف مرحلةقديمة فى الإعراب، تميل إلى الإجمال والتعميم ثم ما تلبث أن تفصل القاعدة على نحو فيه من التفريع والتخصيص ما يناسب أحوال الكلام المختلفة ، ومثل ذلك نجده فى أبواب نحوية أخرى، « كأسلوب الاستثناء عند ما يكون الكلام تاماً منفياً ، فاذا كان الاستثناء متصلا ، أى أن المستثنى داخل فى جنس المستثنى منه ، وجب إعراب المستثنى على أنه بدل من المستثنى منه ، أما إذا كان الاستثناء منقطعاً فيجب حينئذ نصب المستثنى ، وإذن فهناك حركتان للاعراب كل منهما يدل على معنى مخالف للاخر ، وهذه مرحلة راقية متطور من مراحل الإعراب ، إذ إننا نجد عند بنى تميم الدور الذى سبق هذا التقدم والرقى ، فهم يعممون ، فلا يفرقون بين الاستثناء المتصل والمنقطع فيتبعون على البدل فى الحالتين ومن شواهد ذلك قول جران العود :

وبلدة ليس بها أنيسُ إلا اليعافير وإلا العيس

(سيبويه ١ / ٣٦٥)

---

(١) هامش شرح ابن عقيل ٣٩٢/١ .

ولغة أكلونى البراغيث مثـال « آخر للانتقال من البساطة والتعميم إلى التخصيص والتفريق ، وأية بساطة أكثر من أن يجمع الفعل مع الفاعلين ، ويثنى مع الفاعلين ؟ ثم لمـا تقدمت العقول وارتقت ظهر إفراد الفعل أيا كان عدد الفاعلين . وهو يدل على التروى وإعمال الفكر » (١).

ويؤيد ذلك أن هناك من النحـاة من يرى أن الأصل فى إعراب المثنى الألف ، ثم إن الاستعمال جاء على قلبهـا ياء فى حالتى الجر والنصب حرصاً على البيان (٢) .

ويرى بعض اللغويين أن أصل حركة نون المثنى هى الفتح الولدان (بفتح النون) ، ولكن تتابع صوتين متماثلين ، وهما المد بالألف ثم الفتحة على النون ، يجعل النطق صعباً ، فقانون المخالفة dissimilation ؛ أى الذى يخالف بين صوتين متماثلين متعالين ، حتى يسهل نطقهما ،جعل فتحة النون كسرة ، ويحدث هذا أيضاً فى جمع المؤنث السالم (رأيت الفاطمات) (٣).

---

(١) كتابنا : ظاهرة الإعراب فى النحو العربى ص ١١ بتصرف .

(٢) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ص ٩٣٣ تحقيق إبراهيم الابيارى ط وزارة الثقافة والإرشاد القومى بمصر سنة ١٩٦٤م .

(٣) « رمضان عبد التواب » كراهة توالى الأمثـال فى الأبنية العربية : مجلة المجمع العلمى العراقى ص ١٢٢ جـ ١٨ سنة ١٩٦٩ وله أيضـاً لحن العامة والتطور اللغوى ص ٣٧ وما بعدها دار المعارف ١٩٦٧ .

والتثنية فى الانجليزية سبيلها أن يؤتى بلفظ يدل على الاثنين قبل الاسم المراد تثنيته ، ويجىء فى صيغة الجمع . كأن يقال :

Two books , Both girls , Couple of boys

والسبيل نفسها للتثنية فى الفرنسية

deux garçons

وفى الفارسية يؤتى بالاسم فى حالة المفرد قبله كلمة دو بمعنى اثنين:
دو اسب حصانان : دو مرد رجلان .

وفى الألمانية يكون العدد اثنان Zwei سابقاً الاسم فى حالة الجمع ، ليدل على التثنية مثل Zwei Bucher كتابان

أما الجمع: فالأغلب الأعم فى الانجليزية إضافة حرف s للمفرد علامة على الجمع فيقال pen قلم ، pens أقلام ، leg رجل legs أرجل . ولكن هناك ألفاظاً يحدث تغيير فى بنيتها دليلا على الجمع نحو man رجل ، men رجال ، woman امرأة ، women نسوة ، foot قدم ، feet أقدام ، goose أوزة ، geese أوز ، tooth سن ، teath أسنان .

وكذلك الحال فى الفرنسية فيقال garçon و garçons ولد وأولاد livre , livres كتاب وكتب le marchand , les marchands التاجر والتجار .

وهناك أيضاً بعض الأسماء التى لا تخضع لهذه القاعدة العامة .

فالأسماء المنتهية فى المفرد s أو x أو z لا يضاف عند جمعها حرف s بل تظل كما هى .

الشهر والشهور les mois ، le mois

الثمن والأثمان les prix ، le prix

الأنف والأنوف les nez ، le nez

والأسماء التي تنتهي بـ eau أو eu يضاف حرف x وليس s عند الجمع :

السكين والسكاكين les couteaux ، le couteau

الاعتراف والاعترافات les aveux ، l' aveu

والأسماء المنتهية بالحرفين al تجمع بتغيير al إلى aux مثل le cheval الحصان les cheveux الأحصنة .

والجمع في الفارسية له علامتان (أن) و (ها) ، تضاف واحدة منها إلى آخر المفرد .

وكل ذي روح يجمع باضافة (ان) إلى آخره مثل

زنان : نساء ، جمع زن

شيران : أسود جمع شير

اسبان أحصنة جمع أسب

أما الجماد واسم المعنى فتستعمل العلامة الثانية (ها) مثل

سنكها : أحجار جمع سنكه

فرشها سجاد جمع فرش

دانشها : علوم جمع دانش

وهناك مجموعة من الكلمات ، تخرج على هذه القاعدة، فتجمع بالعلامتين معاً، مثل :

سخن تجمع سخنها أو سخنان : كلام
ستاره تجمع ستارهها أو ستاركان : نجوم

وكذلك ماكان من أعضاء البدن زوجا ، والنباتات تجمع بالعلامتين . مثل جشم تجمع جشمها أو جشمان عيون ، ودرخت تجمع درختها أو درختان شجر .

وهناك مايجمع – مثل العربية – جمع مؤنث سالم مثل ده تجمع دهات قوى ، وباغ تجمع باغات حدائق . (١)

على أن هناك شيئاً في التقابل بين هذه اللغات من ناحية وبين اللغة العربية من ناحية أخرى ، فمن المعروف أن العدد فى العربية يتأثر من حيث كونه مذكراً أو مؤنثاً تبعاً لحالة المعدود ، فيقال ثلاثة أولاد وأربع بنات ، وولدان إثنان ، وبنتان اثنتان ، وخمس وثلاثون امرأة وخمسة وثلاثون رجلا ، أما اللغات التى تتخذها ميداناً للتقابل فالعدد لا تتغير بنيته سواء أكان المعدود مذكراً أم مؤنثاً فيقال deux garçons ولدان deux fils بنتان ، three won en ثلاث نساء three men ثلاثة رجال .

وهناك حالة واحدة يتفق فيها العدد المعدودة – أعنى فى الفرنسية – فى العدد واحد ، فيقولون un paysan فلاح و une paysanne فلاحة .

ويلاحظ أيضاً أن المعدود إذا زاد عن اثنين فى الإنجليزية والفرنسية يكون فى حالة الجمع two boys , trois paysans , quatre livres ، أما الفارسية فيبقى فى حالة المفرد ، مثل دو كتاب كتابان ، سه نفر ثلاثة أشخاص ، جهار سيب أربع تفاحات ، هشت أقليم ثمانية أقاليم .

يبقى بعد ذلك أن نبين أسلوبا اختص به الشعر العربى ، وهو مخاطبة الشاعر

---

(١) قواعد اللغة الفارسية ص ٢٦ وما بعدها .

للمثنى فى أول قصيدته، وهناك شواهد لا حصر لها لذلك . ونحن نختار هذا البيت الذى أورده الفراء لتعليقه عليه تعليقاً يدل على ملكة هذا الرجل اللغوية، وتعليله لذلك تعليلا لا يبعد عن واقع اللغة والأدب معاً :

قال سويد بن كراع :

فان تزجرانى يا ابن عفان أنزجر   وإن تدعانى أحم عرضا ممنعاً [١]

قال الفراء « نرى أن ذلك منهم أن الرجل أدنى أعوانه في إبله وغنمه اثنان، وكذلك الرفقة ، أدنى ما يكونون ثلاثة، فجرى كلام الواحد على صاحبيه، ألا ترى الشعراء أكثر شيء قيلا، يا صاحبيّ يا خليلى » [٢] .

فالشاعر هنا يخاطب نفسه مع اثنين آخرين ، وكأن الأمر للجماعة ، وهى أوقع ما يكون للمشاركة الوجدانية وتبادل المشاعر والعواطف ، حتى يجد الشاعر ارتياحا، لأن هناك آخرين يبادلونه المشاعر نفسها ويحسون بها كما يحس بها هو . وهذا هو المناسب للشعر .

على أن اللغة العربية لم تنفرد — من بين اللغات التى نتخذها ميداناً للتقابل — بصيغة المثنى فحسب ، بل إن الجمع فيها يتخذ أنواعا متعددة ، وهى جمع المؤنث

---

(١) جاء فى المزهر : البيت لسويد بن كراع وكان قد هجا بنى عبد الله ابن دارم فاستعدوا عليه سعيد بن عثمان فأراد ضربه . وهذا يدل على أنه خاطب اثنين سعيد بن عثمان ومن ينوب عنه أو يحضر معه .   (المزهر ١/٣٣٥)

(٢) معانى القرآن ٧٨/٣ تحقيق محمد على النجار ط الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٥م .

السالم وجمع المذكر السالم ، ثم التكسير الذى ينقسم إلى جموع قلة وجموع كثرة وجمع الجمع واسم الجمع واسم الجنس الجمعى .

وكل هذه الأنواع مذكورة فى كتب الصرفيين ومطولاتهم ، مما لا يستدعى عرضها بالتفصيل ، ولكننا سنلقى الضوء على ما يحتاج إلى نقد أو تعليق .

واسم الجمع عندهم مايدل على أكثر من اثنين ولا مفرد له من نفس مادة لفظه، كزمرة وفرقة وأمة . واسم الجنس الجمعى مادل على مطلق الجنس للمفرد الذى آخره تاء التأنيث وياء النسب، كثمرة وشجرة وعربى وعجمى فهذه مفردات لأسماء الجنس الجمعى : تمر وشجر وعرب وعجم . وجمع الجمع يذكرنا بالممنوع من الصرف، مما كان وزنه على مفاعيل ومفاعل ولا واحد لها، مثل العبابيد والمذاكير والأبابيل . وجاء عن الواحدى [١] أن جماعة عدت (سراويل) مفرداً ، وقد رد هذا الوهم إبراهيم السمرائى بقوله « فات القدامى فى كثير من الأحيان رد الألفاظ إلى أصولها و (السراويل) معرب فارسى أصله (شلوار) فى الفارسية ولعل العربية عمدت إلى الإبدال فقيل (سرابيل) إبعاداً للكلمة عن أصلها الفارسى . وقد جاءت فى قوله تعالى « وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر » (النحل ٨١) . [٢]

---

(١) الواحدى : شرح ديوان المتنبى ص ٧٩٣ برلين سنة ١٨٦١م .

(٢) إبراهيم السامرائى : دراسات فى اللغة ص ٨٨ بغداد سنة ١٩٦١م .

وجموع القلة وجموع الكثرة لها عندهم تحديد وأوزان ، فالأولى حددوها وضبطوها في أوزان أربعة هي :

١ ـ أفعلة مثل أسلحة
٢ ـ أفعل مثل أفلس
٣ ـ فعلة مثل فتية
٤ ـ أفعال مثل أفراس

وفيها يقول ابن مالك

أفعله أفعل ثم فعلة

ثمت أفعال جموع قلة

والثانية لها ما يزيد على عشرين وزناً . (١)

والذى نظنه أن جموع القلة وجموع الكثرة ليس لها ضابط يحددها ، لا من حيث الوزن ، ولا من حيث دلالتها العددية :

أولا : أنهم اختلفوا فى العدد المحدد للأول وهو جمع القلة ، وكذلك العدد المحدد للثانى ، فقد قال ابن عقيل فى ذلك «جمع القلة يدل حقيقة على ثلاثة فما فوقها إلى العشرة ، وجمع الكثرة يدل على ما فوق العشرة إلى غير نهاية ». ولكن الشيخ محمد محيي الدين علق على قول ابن عقيل قائلا « هذا أحد قولين والقول الثانى أن جمع الكثرة يدل على الثلاثة إلى ما لا نهاية ، وعلى هذا يكون جمع القلة وجمع الكثرة متفقين فى المبدأ ، ولكنهما مختلفان فى النهاية ، ويكون الذى ينوب عن الآخر جمع القلة ، إذ ينوب عن جمع الكثرة فى الدلالة على أحد عشر فصاعداً ، أما جمع الكثرة فدلالته حينئذ على الثلاثة إلى العشرة ليست

(١) أنظر فى كل ذلك شرح ابن عقيل ح ٢ ص ٤٥٢ وما بعدها .

بالنيابة عن جمع القلة ، ولكن بالأصالة ، ودلالته هذه حقيقة ، لا مجاز [١]

ثانيا : أن هناك أوزاناً متداخلة بين النوعين ، أى أن هنـاك أوزاناً من جموع القلة تدل على الكثرة ، وأوزاناً من جموع الكثرة تدل على القلة ، يقول ابن عقيل « قد يستغنى ببعض أبنية القلة عن بعض أبنية الكثرة : كرجل وأرجل وعنق وأعناق ، وفؤاد وأفئدة . وقد يستغنى ببعض أبنية الكثرة عن بعض أبنية القلة : كرجل ورجال وقلب وقلوب » [٢] و « ذهب الفراء إلى أن من جموع القلة فعل نحو ظلم وفعل نحو نعم وفعله نحو قردة ، وذهب بعضهم إلى أن منها فعلة نحو بررة ، نقله ابن الدهان ، وذهب أبو زيد الأنصارى إلى أن منها أفعلاء نحو أصدقاء ، نقله عنه أبو زكريا التبرزى » ثم يعلق الأشمونى على كل ذلك قائلا « والصحيح أن هذه كلها من جموع الكثرة » [٣]

ثالثاً : أن هناك من الجموع ما ورد وزنه على غير الأوزان التى وضعوها ، سواء للقلة أم للكثرة ، فقد « ورد جمع ثوب على أثوب ، وهو قياس نظيره من معتل العين ، وقد ورد جمعه على ثياب من جموع الكثرة ، كما فى قول امرىء القيس :

وإن تك قد ساءتك منى خليقة فسلى ثيابى من ثيابك تنسل

---

(١) السابق ح ٢ ص ٤٥٢ وهامشها .

(٢) شرح ابن عقيل ح ٢ ص ٤٥٣ .

(٣) شرح الأشمونى ح ٤ ص ٨ « حاشية الصبان » على شرح الأشمونى . التجارية سنة ١٩٣١ م .

وقد ورد جمعه على أثوب وهو شاذ ، ومنه قول معروف بن عبد الرحمن :

لكل دهـر قد لبست أثوبا حتى اكتسى الرأس قناعا أشيبا
أملح لا لذا ولا محبباً

وقالوا دار وأدوار وساق وأسواق ونار وأنور ، وقالوا ناب ــ وهو المسن من الأبل ــ وأنيب ، وذلك كله شاذ لايقاس عليه . وربما همزوا الواو لثقل الضمة على الواو ، وبهذا روى قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت مصابيح شبت بالعشاء وأنؤر[٣]

ومما يؤيد ذلك أيضاً ما أورده سيبويه عند حديثه عن أصل الوزن في جمع القلة ، فقد أتي بأوزان أخرى ، ويقول عنها « وليس ذلك بالبـاب في كلام العرب » ويستعمل كلمة (ربما) وحرف التقليل (قد) وعبارة » فلا يعلم إلا بالسمع ، كل ذلك متحقق في نص سيبويه الآتي » وأعلم أنه قد يجيء في (فعل) (أفعال) مكان (أفعل) قال الشاعر (الأعشى) .

وجدت إذا أصطلحوا خيرهم وزندك أثقب أزنادهـا

وليس ذلك بالباب في كلام العرب ، ومن ذلك قولهم أفراخ وأجداد وأفراد وأجد ، عربية وهي الأصل » ثم قال « ربما كسر (الفعل) على (فعلة) كما كسر على (فعال) و (فعول) وليس ذلك بالأصل ، وذلك قولهم جبء وهو الكمأة الحمراء وجبأة وفقع وفقعة ، وقعب وقعبة ، وقد يكسر على (فعولة) و فعالة) ،

---

(١) تعليق الشيخ محي الدين على شرح ابن عقيل : حـ ٢ هامش صفحة ٤٥٤ ، وقد ورد مثل ذلك في شرح الأشموني وزاد عليه جمع سيف على أسيف كقولهم « كأنهم أسيف بيض يمانية » الأشموني حـ ٤ ص ٨٩ .

فيلحقون هاء التأنيث البناء وهو القياس أن يكسر عليه . وزعم الخليل أنهم إنما أرادوا أن يحققوا التأنيث ، وذلك نحو الفحالة والبعولة والعمومة والقياس فى (فعل) ماذكرنا ، وأما ماسوى ذلك فلا يعلم إلا بالسمع » . [1]

رابعاً : من العسير جداً — ان لم يكن من المحال — أن تحدد أوزان جموع الكثرة فى أكثر من عشرين وزنا ، ويكون لـكل وزن من هـذه الأوزان شواهد عديدة، تدل على أن كلا منها يدل على ما زاد على العشرة ، فلابد من الشواهد العديدة لكل وزن حتى تستقيم القاعدة ، وإذا وجدت الشواهد ، فهل توجد وهى دالة على العدد ؟ هـذا مستبعد إذا عرفنا طبيعة الشعر [2] وأنها تبعد عن العدد والحساب ، والتحديد الرقمى بوجه عام ، وتتصل بالعواطف والمشاعر والأحاسيس من حزن وفرح وألم ورضا وحب وبغض .

خامسا : هناك نقطة مهمة جداً نود أن نبرزها فى هذا المقام، ألا وهى وضع الصرفـيين الأوزان للجمع ، ثم مجىء المفرد من كل وزن على كذا وكذا . فكأن الجمع هو الأصل ، والمفرد فرع . وهذا يناقض ما اتفقنا عليه فى أول الكلام عن المفرد والمثنى والجمع ، وأن المفرد أصل لكليهما ، وربما كان هذا الوضع المقلوب هو الذى جرهم إلى الخلط فى الأوزان بين جموع الكثرة والتداخل بينهما على النحو الذى فصلناه منذ قليل .

والأولى — على حسب أصلية المفرد — أن يقـال : إن (ثوبا) مثلا تجمع

---

(١) الكتاب حـ ٢ ص ١٧٦ .

(٢) معظم استشهاد النحاه منه .

على أثواب وثياب وأثوب ؛ وكلب على كلاب وأكلب ، وسيف على أسياف وسيوف وأسيف .

وفى ذلك يقول المجمع اللغوى « وأما الثانى (١) فوجدته متعذر التحقيق؛ لأن من جموع التكسير ما ينقاس فى أكثر من عشرة أنواع من المفردات (مثل وزن فعال) فاذا وجد فى المصطلحات جمع على هذه الصيغة ، ولم ينص على مفرد معين من المفردات التى لهذه الصيغة ، كان تعيين نوع دون نوع من الأوزان التى تزيد على عشرة ترجيحاً بلا مرجح وهو محال . على أننا لو فرضنا فرضاً أننا عرفنا ذلك المفرد المجهول بوسيلة ما لكان خلقنا إياه افتئاتاً على اللغة وجسارة لا يستهين بها إلا من خلع عن عنقه كل ربقة علمية؛ إذ نكون قد ارتجلنا فى اللغة مادة لم تكن فيها، لأن الأصول فى أوضاع كل لغة وموادها هى مفرداتها، والجمع فرع قد يؤخذ كثيره بالقياس. ومعاذ الله أن ينتحل مجتمعنا هذه النحلة الخاطئة . وبعد فماذا يكون حالنا إذا وضعنا من عند أنفسنا مادة فى اللغة بوضع مفرد لم تذكره المعاجم التى بين أيدينا ، ثم ظهرت بعد معجمات أخرى فيها مفرد معين لهذا الجمع غير المفرد الذى خلقناه ؟ ومن الغريب أن بعض المتأخرين، كابن مالك فى الألفية، والسيوطى فى جمع الجوامع، جرى تأليفه على

---

(١) يقصد البحث عن المفرد الذى جمعه على وزن من الأوزان التى ذكرها الصرفيون .

(٢) رأى لجنة الأصول العامة بالمجمع برئاسة الشيخ أحمد على الاسكندرى. مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية . محاضر جلسات دور الانعقاد الرابع ١٩٣٩ . ص ٨٤ .

ذكر صيغة الجمع ، ثم ذكر المفردات التى ينقاس فيها، فجعل الفرع أصلا والأصل فرعا ، مما جعل كتبهم أقل فائدة من كتب المتقدمين في هذا الباب .

على أن هناك تعليلا لهذا الإضطراب فى أوزان الجموع وكثرتها وتداخلها عند الباحثين فقد رأى إبراهيم السامرائى « أننا نجمع كلمة واحدة على عدة صيغ من صيغ الجمع فالشيخ يجمع على (شيخة) ويجمع على (شيوخ) بضم الشين وعلى (شيوخ) بكسر الشين وعلى (أشياخ) ، ومثل هذه كلمة (الحب) بكسر الحاء ، فتجمع على (أحباب) و (حبان) بكسر الحاء وتشديد الباء و (حبوب) و (حبة) بكسر الحاء ، (حب) بضم الحاء » (١) ويلاحظ أيضاً أن صيغ الجموع لا تعتمد على مفردات معروفة ذات وزن معين لا تتعداه إلى غيره ، فكلمة (رجال) تصبح أن تكون جمع (رجل) وهو كثير ، كما أنها جمع (راجل) كما فى قوله تعالى « فان خفتم فرجالا أو ركباناً (البقرة / ٢٣٩) ، وصحيفة (فعال) بكسر الفاء من صيغ جموع التكسير يكون من مفرداتها (فعيل) مثل كبير و (فعيلة) مثل كبيرة وفعل مثل سهم جمع سهام .. » (٢)

من هذا كله وغيره من الأوزان يستنتج أن هذه الصيغ لم تكن مقررة ، مبنية على قواعد ثابتة، فهى سماعية تخضع لمألوف المتكلم فى الإستعمال المحلى » (٣) أى أنها « صيغ تخص لهجات مختلفة لم تصل حد القواعد المقررة التى تتبع نظاماً مضبوطا من حيث علاقتها بالوصف والفعل والضمائر وما نسميه الآن

(١) دراسات فى اللغة ص ٢٠٨ . ط بغداد سنة ١٩٦١ .

(٢) السابق ص ٨٢ .

(٣) السابق ص ٨٣ .

Syntax system [1].

ولا بد إذن من إضافة بسيطة فى أصلية المترد وفرعية المثنى والجمع عليه . فنقول إن الأصلية والفرعية هنا نابعتان من فكرة المفرد وفكرة المثنى والجمع ، وليس لتلك الأوزان المختلفة للجمع ، فالمفرد أصل من حيث كونه فكرة مجردة، وكذلك المثنى والجمع فرعان من حيث إنهما فكرتان مجردتان مترتبتان على فكرة المفرد . دون أن ندخل فى اعتبارنا تلك الأوزان العديدة لصيغ الجموع وأوزان مفرداتها العديدة .

---

(١) السابق ص ٨٢ .

الفعل والمصدر

المسألة التي تلي هذه المسائل في الأصلية والفرعية عند نحاة العرب هي الفعل والمصدر : أيهما أصل للآخر .

وهذه المسألة لها وجهان :وجه شكلي والآخر موضوعي ، فأما الشكلي فنقصد به ما يقوم به علماء اللغة والنحو من إرجاع الكلمة إلى أصلها عند البحث عنها في المعاجم اللغوية أو عند الاشتقاق . والجانب التقابلي في هذا الوجه يوضح الاختلاف بين اللغات في ذلك .

ففي اللغة الإنجليزية يأتون بالفعل في زمن المضارع وقبله الحرف to (١) مثل to write و to eat و to read : أن يكتب أن يأكل ، أن يقرأ . ويطلقون على مثل هذا النمط كلمة المصدر infinitive ومن المصدر يشتقون المضارع He writes والماضي He wrote والاستمرار He is writieng والماضي والمضارع التامين He (had) has written واسم الفاعل writer .

وقبل أن ننتقل إلى الفرنسية نلاحظ أن إطلاق كلمة المصدر infinitive على الفعل مسبوقا بـ to مثل to eat يشابه عندنا (أن) المصدرية التي تدخل

---

(١) يستثنى من ذلك فعل الكينونة to be ، فلا علاقة بين المصدر والمضارع is و was و are و were و am من حيث المادة إلا في التصريف الثالث past participle : been .

على الفعل وتؤول معه بمصدر ، والاستعمال فى اللغتين واحد :

I want to eat . I want enting

أريد أن آكل   أريد أكلا

وفى الفرنسية لا يوجد مصدر واحد infinitif لاشتقاق كل الأفعال وغيرها من المشتقات ، بل يوجد ثلاثة أنواع من المصادر .

فالأول يشتق منه أفعال المجموعة الأولى وينتهى بـ er مثل parler و manger أن يأكل ، أن يتكلم .

والثانى لأفعال المجموعة الثانية وينتهى بـ ir مثل finir و réussir أن ننجح ، أن ينتهى .

والثالث لأفعال المجموعة الثالثة وتنتهى بـ oir مثل savoir أن يعرف ، أو re مثل mettre أن يضع ، أو ir مثل venir أن يأتى .

فمن هذه المصادر تشتق الأفعال بأزمنتها العديدة مثل المضارع le présent والماضى المركب Le passé composé والمستقبل Le futur والماضى البسيط Le passè simple وغيرها من الأزمنة .

كل هذا فى الصيغة الإخبارية Le mode indicatif ، تأتى بعد ذلك صيغتان أخريان ، وهما الصيغة الشرطية Le mode conditionel وصيغة الشك Le mode sudjonctif وأخيراً صيغة الأمر Le mode imperative، وغير هذه الصيغ بأزمنتها المختلفة يشتق أيضاً اسم الفاعل Le participe présent

واسم المفعول Le participe passé ... (١) .

والفارسية أيضاً فيها ما يسمى بالمصدر وهى كلمة تنتهى بحرف النون مسبوقة بالتاء أو بالدال مثل كفتن : أن يقول أو آمدن : أن يجىء ، ومن المصدر تشتق الأفعال فى أزمنتها المختلفة كالمضارع بأنواعه والماضى بأنواعه والمستقبل .. وكذلك الصيغ كاسم الفاعل والصفة المشبهة ...

ويحدث ذلك بأن نحذف فى الغالب الدال والنون أو التاء والنون ، فنحصل على المادة الأصلية ، ومنها يشتق كل ما سبق ذكره باضافة نهايات معينة (٢) .

وإذن فكل هذه اللغات تعتمد على ما يسمى بالمصدر (اصطلاحا) لكى تشتق منه الصيغ المختلفة والأزمنة العديدة . فماذا عن اللغة العربية الحقيقة أن الأمر لا يخرج عن ذلك وإن كان يعتوره بعض الصعوبة أحياناً . فالأصل فى العربية لكى ، نعرف اشتقاق صيغة من الصيغ، أن نأتى بالمادة المجردة ثلاثية

---

(١) نلاحظ أن الفرنسية تخلو من زمن الاستمرار Continious الذى نجده فى الإنجليزية بزيادة ing فى نهاية الفعل ويسبق بفعل to be ، وفى الفارسية باضافة ميم وياء إلى الفعل ، ويبدو أن الفرنسية قد استعاضت عن ذلك بصيغة اسم الفاعل Le particip présent ومنها قولهم Apprenez le françeus en chantant «تعلم الفرنسية مغنياً » وهذا هو الفعل الدائم Permansif وأنظر الفصل الأول ص ٣٢

(٢) لا بد من الحفظ لتعرف المادة الأصلية من المصادر لأنها غير قياسية .

كانت أم رباعية فى حالة الفعل ، ويزاد عليها الخماسية فى حالة الاسم ومن هذه المادة المجردة تشتق الصيغ المختلفة ، إلا أن الأمر فى بعض الحالات يستدعى تغييراً فى بناء الكلمة نفسها حتى نستطيع أن نرجعها إلى مادتها الأصلية المجردة . يقول الشيخ السيد محمود خاطر تعبيراً عن الصعوبة فى الرجوع إلى أصول الصيغ نظراً لما يعتريها من إعلال وإبدال :

« أنظر كيف يتأتى للمبتدىء إدراك أن الناقة تجمع على أنوق ، وأنهم استثقلوا الضمة على الواو ، فقدموها فقالوا أونق ثم عوضوا من الواو ياء فقالوا أينق، ثم جمعوها على أيانق حتى إذا عرضت له الأيانق وجدها فى مادة (ن و ق) ، وأن السيئة أصلها سيوئة فيطلبها فى (س و أ)،وأن السين فى (س و د) . وأنى يسهل عليه فى أول أمره أن الميزاب يطالب فى مادة (و ز ب)، وتجاه الشيء فى (و ج ه)، وتترى في (و ت ر) وأن السلسبيل فى (س ب ل) واضمحل وامضحل كليهما فى (ض ح ل) ، وأن السنة للعام فى (س ن ه) أو (س ن و) ، والسنة للنعاس فى (و س ن) وأن قولهم عم صباحاً فى (ن ع م)، وأيم الله فى(ى م ن) إلى غير ذلك مما لا يهتدى إليه إلا بعد المزاولة وطول التدريب »[١] .

---

(١) مقدمة كتاب « مختار الصحاح » بولاق سنة ١٩٥٠م الطبعة السابعة.
والأصل فى ذلك هو كتاب الصحاح لأبى نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى ، ثم إن أبا بكر الرازى جمع فى هذا الكتاب ما رآه لازما مفيداً مستعملا فى اللغة وسماه مختار الصحاح وجرى فيه على طريقة الجوهرى فى إيراد الكلم باعتبار أواخرها . وغير الرازى كثيرون ممن تصدوا للصحاح بالاختصار =

فهذا كله عن الشق الأول وهو الشق الشكلى أو قل الشق الذى يتعلق بالدرس اللغوى التطبيقى . فماذا عن الشق الثانى وهو الموضوعى أى الذى يتصل باللغة من حيث هى لغة أو بالأحرى يتصل بتاريخ اللغة منذ القدم لنعرف أيهما كان أسبق فى الظهور : المصدر على رأى البصريين أو الفعل على رأى الكوفيين. وإذا كان الشق الأولى مختلفاً بين لغة وأخرى ، فهذا لا يجىء من أصل الوضع فى النشأة الأولى ، بل يجىء من الاستعمال وتطوره على مر العصور ؛ أى الطريقة التى اتبعها اللغويون والنحاة فى ذلك على أن الشق الثانى هذا لا يختلف بين لغة وأخرى فمقولة إن المصدر أصل والفعل فرع عليه أو العكس ينطبق على اللغات جميعاً من حيث هى لغات فحسب ، لا من حيث استعمالها وتطبيقها .

وقبل أن نفق برأى فى هذا الموضوع نحب أن نعرض لأدلة كل من الكوفيين والبصريين، ولو أنها أدلة شكلية ذات طابع فلسفى جدلى ، إلا إن التعرض لها يفيدنا فى معرفة طرائق تفكير قدامى النحاة فى بعض المسائل .

فلقد ذهب الكوفيون إلى أن المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه ، وذهب البصريون إلى عكس ذلك .

= والاختيار مثل الزنجانى وابن الصائغ الدمشقى، ثم جاء الشيخان حمزة فتح الله والسيد محمود خاطر فرتبا مختار الصحاح للرازى ترتيباً على حسب أوائل الكلم كترتيب المصباح للفيومى . وقد قررت وزارة المعارف العمومية توزيع هذا المختار على تلاميذها سنة ١٩٠٤م .

وكانت أدلة الكوفيين تنحصر فيما يلي :

أ ـ الفعل هو الأصل ؛ لأن المصدر يصح لصحته , ويعتل لاعتلاله

ب ـ الفعل يعمل في المصدر ، والعامل رتبته قبل رتبة المعمول

جـ ـ المصدر يجيء تأكيداً للفعل ورتبة المؤكد (بفتح الكاف وتشديدها)

د ـ هناك أفعال لامصدر لها وهي الأفعال الجامدة [1] وهي ليس وعسى وبئس ونعم وحبذا فلو كانت المصادر أصلا لترتب على ذلك وجود الفرع دون الأصل .

هـ ـ المصدر لايتصور معناه إلا بعد وجود فعل قد وقع فعلا

و ـ مخطىء من قال إن المصدر سمى كذلك ؛ لصدور الفعل عنه ، بل لأنه مصدور عن الفعل .

أما أدلة البصرين فهى : —

أ ـ الدليل على أن المصدر أصل للفعل أن المصدر يدل على زمان مطلق والفعل يدل على زمان معين ، فكما أن المطلق أصل للمعين ، فكذلك المصدر أصل للفعل .

---

(١) هذه الأفعال يوجد مايشابهها في الإنجليزية من حيث الشكل ؛ أى من حيث عدم التصريف الكامل ، وتعرف بالأفعال المساعدة Auxiliary verbs وهي Can could, shall should, will would، must ought to may might.

ب ـ المصدر اسم والاسم يقوم بنفسه ويستغنى عن الفعل وليس العكس(١)

جـ ـ المصدر يدل على الحدث، وهو واحد والفعل يدل على الزمن والحدث وهما اثنان ، والمفرد أصل للمثنى .

د ـ المصدر له صورة واحدة والفعل له صورة ثلاث ماض ومضارع وأمر، كما أن الذهب نوع واحد وما يوجد منه (أى من فروعه) أنواع مختلفة .

هـ ـ الآنية المصنوعة من الفضة تدل على الفضة، والفضة لا تدل على الآنية والفضة هنا أصل ، كذلك الحال فى الفعل والمصدر . الفعل يدل على ما يدل عليه المصدر ، فـ (ضرب) تدل على (ضربا) ، ولكن (ضربا) لا تدل على (ضرب) فدل ذلك على أن المصدر هو الأصل .

و ـ لو كان المصدر مشتقا من الفعل، لكان يجب أن يجرى على سنن القياس ولم يختلف .

ز ـ لو كان المصدر مشتقا من الفعل لوجب أن يدل على ما فى الفعل من الحدث والزمان وعلى معنى ثالث ، كما دلت أسماء الفاعلين والمفعولين على الحدث وذات الفاعل والمفعول به، فلما لم يكن المصدر كذلك دل على أنه ليس مشتقا من الفعل .

ح ـ المصدر ليس مشتقا من الفعل بدليل قولهم (أكرم وإكراما) بإثبات

---

(١) أى أن هناك جملة مكونة من اسمين مثل محمد مجتهد ، وليس هناك جملة مكونة من فعلين ، فكأن (مجتهد) وهى الخبر قامت مقام (يجتهد) وهى فعل .

الهمزة ، ولو كان مشتقا من الفعل لوجب أن تحذف منه الهمزة كما حذفت من اسم الفاعل والمفعول نحو (مكرم ومكرم) إذ كانا مشتقين منه ، فلما لم يحذف ها هنا كما حذفت مما هو مشتق منه، دل على أنه ليس بمشتق .

ط ـ الأصل هو المصدر بدليل تسميته مصدراً ، فإن المصدر هو الموضع الذى يصدر عنه الأبل .

هذه هى أدلة الفريقين عرضناها بتلخيص وبألفاظهم على وجه التقريب .

وإذا استثنيا الدليلين حـ ، هـ من أدل الكوفين ، والدليل أ من أدلة البصرين لحكمنا على باقى الأدلة بالشكلية المحضة، وبأنها تتناول أشياء لاعلاقة لها بتاريخ اللغة أو نشأتها أو تطورها .

والذى نود أن نقوله هنا ـ مادام الأمر يتصل باللغة ـ إننا يجب أن نعمم القضية ، أى نجعلها تنطبق على اللغات جميعا بصفة عامة ، ومعلوم أن المصدر فى استعراضنا السابق ماهو إلا المفعول المطلق ، نحو ضربت ضربا ، ونزلت نزولا ، ونجحت نجاحا . هـذا المفعول المطلق لاوجود لهـا فى اللغات التى نتخذها ميدانا للتقابل، فالفارسية والإنجليزية والفرنسية لانجد فيها هذا الشكل النحوى ، أى المفعول المطلق ، وعلى هذا جاز لنا أن نبحث عن أسبقية وجود المفعول المطلق (وليس المصدر) فى اللغة العربية فقط .

أما المصدر أو الاسم بوجه عام(وهو الذى أتى ذكره فى أدلة البصريين : الدليل ب) فهو الذى يبحث فى أسبقيته على مستوى اللغات جميعا .

فأما القضية الأولى وهى : أيها أسبق فى اللغة العربية : الفعل أو المصـدر (المفعول المطلق) فنظن أن الفعل أسبق من المفعول المطلق ، لأنك لا يمكن أن

تؤكد الفعل قبل وجود الفعل نفسه ، ولا يمكن تصور (ضرباً) إلا بعد أن تتصور (ضرب) وهذان هما دليلا الكوفيين رقما جـ ، هـ .

وأما القضية الثانية وهي : أيهما أسبق الفعل أو الاسم ؟ . فهذه القضية تتعلق باللغات جميعاً كما قلنا ، والبحث فيها يتعلق بالبحث في نشأة اللغة بوجه عام . والذي نلحظه هنا أن الفعل إنما هو تجريد ، أي أنه فكرة غير مشخصة أو غير ملموسة، مثل (أكل) و (شرب) ، أما الاسم - فهو في بعض أحواله - فشخص أو ملموس مثل (الأكل) و (الماء) ومن ثم جاز لنا أن نقول إن الفعل (أكل) لم يكن له وجود قبل أن يوجد (الأكل) نفسه ، وكذلك الفعل (شرب) لم يكن له وجود قبل أن يوجد ما يشرب ، أي ما يجعل الفعل (شرب) مستعملا وهذه الموازنة بين التجريدي والمشخص تناولها فندريس بشيء من التفصيل ، فرأى أن المشخص هو الذي يقرع الذهن أولا ، ثم يأتي بعد ذلك المجرد ، والعكس يحدث في (عملية النسيان) فالتجريدي أكثر بقاء في الذاكرة من المشخص [1] .

---

(١) اللغة : ص ١٨١ التجريدي والمشخص أو المعنوي والحسي .

التصغـــير

وبعد أن عرضنا لقضية الأصلية والفرعية في المصدر والفعل، نأتى إلى باب آخر من أبواب الصرف تظهر فيه القضية نفسها وهو باب التصغير، والتصغير يذكرنا بقولة النحاة المشهورة «والتصغير يرد الأشياء إلى أصولها».

والتصغير ظاهرة صرفية تنفرد بها اللغة العربية من بين اللغات التى نتخذها ميداناً للتقابل، فيما عدا الفارسية التى يأتى فيها التصغير على ثلاث صور وذلك بأن يجىء الاسم المراد تصغيره منتهياً بالحرف (ك) أو بالحرفين (چه) أو بالحرف (و) دون تحديد أو تعيين، فيقال فى تصغير أخت دخترك ودخترچه ودخترو، وهذا بعكس العربية التى لها ثلاث صيغ للتصغير أيضاً، ولكن تختص الصيغة الأولى وهى فعيل للثلاثى والثانية وهى فعيعل للرباعى، والثالثة وهى فعيعيل لما زاد على الرباعى. وبيان الأصل عن طريق التصغير فى اللغة العربية يظهر فى [1].

أ ـ المؤنث دون تاء، فترد إليه عند التصغير مثل أذن وأذنية، وعين وعينية وكتف وكتيفة

ب ـ ما كان على حرفين من الأسماء، فيرد له الحرف الثالث عند تصغيره مثل دم ودمى ويد ويدية.

---

(١) أنظر فى ذلك الكتاب، وشرح ابن عقيل، وشرح الأشمونى، وشرح المفصل، وغيرها من كتب النحو فى باب التصغير.

حـ - ما كان أحد حروفه منقلباً عن حرف أصلى آخر مثل سماء ، فالهمزة هنا . منقلبة عن واو فالأصل سماو ، وعند التصغير ضم الحرف الأول وفتح الثانى ، وجيء بياء التصغير بعده ، وصارت الكلمة سميا٠ ، ثم قلبت الألف (المد) ياء لمناسبة ما قبلها . وكذلك الواو : أعلت بقلبها ياء لاجتماعها مع الياء قبلها وسبق إحداهما بالسكون (١) ، فحذفت لتوالى الأمثال ، وجيء بتاء التأنيث دليلا على أن (سماء) مؤنثة ، فصارت الكلمة مصغرة سمية .

د - «إذا كان ثانى الاسم المصغر من حروف اللين ، وجب رده إلى أصله فان كان أصله الواو قبل واواً ، فتقول فى (قيمة) (قويمة) وفى (باب) (بويب) ، وإن كان أصله الياء ، قلب ياء فتقول فى (موقن) (مييقن) وفى (ناب) (نييب) » شرح ابن عقيل ٢/٤٨٤ .

إلا أن هذه القاعدة وهى رد الأشياء إلى أصولها عندالتصغير » ليست عامة بل إن من صيغ التصغير مايستدعى حذف حرف أو حرفين من الكلمة(٢) .

ويحدث هذا عند تصغير الخماسى أو السداسى ، فى تصغير سفرجل تحذف اللام، فتصغر على سفيرج وفى علندى تحذف الألف فتصغرعلى عليند أوتحذف النون معها فتصغر عليد . ويحدث أيضاً عند حذف ألف التأنيث المقصورة إذا كانت خامسة فصاعداً ، فى قرقرى تصغر على قريقر وفى تصغير حبارى يقال حبير ، وحبيرى تحذف الألف أو تبقى مع حذف المدة قبلها . وتحذف الزوائد عند التصغير المرخم ، فقال فى تصغير (معطف) (معيطف) .

---

(١) سيجىء بيان ذلك بالتفصيل والرأى فيه فى الجزء الذى يلى هذا مباشرة .

(٢) أنظر المراجع النحوية السابقة .

القلب والإعلال والإبدال

يبقى بعد ذلك من مظاهر الأصلية والفرعية فى اللغة العربية القلب والإعلال والإبدال ، والحقيقة أن هذه الأبواب متفرعة متشعبة فى كتب الصرف ، وليس هدفنا بيان هذه التفريعات والتشعيبات ودرسها ، ولكننا نود أن نلقى الضوء على ما كان يتصل منها بموضوع البحث وهو الأصلية والفرعية .

على أن هذا لا يمنع من بيان أنواع القلب والإعلال والإبدال بياناً موجزا [١] حتى نكون على بينة إذا تعرضنا بالتعليق على إحدى النقاط الخاصة بها .

فالقلب فى الكلمة إما أن يكون :ـ

١ ـ مكانياً : مثل جاه فهى مقلوبة عن وجه وهى الأصل ، وإما إن يكون

٢ ـ قلباً بالإعلال : مثل سماء ، فهى منقلبة عن سماو أو بناء فهى منقلبة عن عن الأصل وهو بناى .

والإعلال بالقلب يخص حروف العلة والهمزة، لأنها تقاربها بكثرة التغيير [٢] وهو أنواع :

---

(١) اعتمدنا فى هذا البيان على شرح ابن عقيل على الألفية، وشذا العرف فى فن الصرف ، كتاب سيبويه ، والمزهر للسيوطى والخصائص لابن جنى ، وسنشير إلى كل فى موضعه .

(٢) شذا العرف فى فن الصرف للشيخ أحمد الحملاوى ص ١٤٥ الحلبي سنة ١٩٦٥م .

أ ـ تقلب الياء والواو ← همزة: سماء وبناء أصلها سماو وبناى ومثل قائل وبائع أصلها قاول وبايع .

ب ـ تقلب الهمزة ← ياءً أو واواً : مثل خطايا وهراوى، الأصل فيها خطايئ وهرائو .

حـ ـ تقلب الألف والواو ← ياء مثل : مصابيح ، والمفرد مصباح والجمع على الأصل مصاباح، فقلبت الألف بعد الباء ياء ومثل الغازى في الأصل غزا يغزو فهو الغازو ، فقلبت الواو ياء فصارت غازى .

د ـ تقلب الألف والياء ← واوا مثل بويع فالأصل باع ، ثم عند بنائها للمجهول ، ضمت الباء ، وقلبت الألف واواً لمناسبة ما قبلها فصارت بويع . ومثل موقن ، أصلها أيقن فهو ميقن ، فالياء هنا ساكنة ، وقبلها مضموم فقلبت واواً فصارت موقن .

هـ ـ تقلب الواو والياء ← ألفاً مثل قال وباع ، فالأصل فيها قول وبيع وقد وقعت الواو والياء متحركتين بعد فتحة ، فقلبتا ألفاً .

هذان هما القلب المكانى ، والإعلال بالقلب ، ثم إنّ هناك إعلالا بالنقل؛ أى نقل حركة الحرف المعتل إلى الساكن قبله ، مثل يقول (بتسكين القاف وضم الواو) ، فتصبح (يقول) بضم القاف وذلك بعد أن نقلنا حركة الواو إلى القاف قبلها ، وإعلالا بالحذف وينقسم قسمين . قياسى كحذف الهمزة من من مضارع الثلاثى المبدوء بهمزة وكذلك حذفها من اسم الفاعل واسم المفعول مثل أكرم : يكرم ، مكرم (بكسر الراء) ومكرم (بفتحها) ، وغير قياسي كحذف الياء من نحو يد ودم وأصلها يدى ودمي .

أما الإبدال فهو « جعل مطلق حرف مكان آخر » [١] مثل (اصتبر) ، نجعل الطاء مكان التاء فتصبح اصطبر . ومثل (ازتهر) ، نجعل الدال مكان التاء فتصبح (ازدهر) [٢] (ومطلق حرف) إشارة إلى أن الإعلال يختص بحروف العلة ، أما الإبدال فلمطلق الحروف ،ولذلك قيل إن كلّ إعلال إبدال وليس كل إبدال إعلال [٣] .

هذة هى أهم سمات القلب والإعلال والإبدال ، وليس لنا فضل فى بيانها إلا فضل التلخيص إن كان التلخيص فضلا . بينا أنواع كلٍّ ، وأعطينا مثالا أو مثالين لكل نوع .

فعلام نريد أن نعلق ؟

إن أول مايلفت نظر الباحث فى الأصلية والفرعية فى هذا المضمار أن الصرفيين يفترضون أصلا للكلمة ، ثم بعد ذلك يقومون بعمليات صرفية ، قد تصل إلى خمس عمليات ، لكى يصلوا إلى الفرع المستعمل فعلا ، وليس المفترض .

أنظر مثلا إلى ما يقولونه فى شأن قسى ، وهو الجمع المستعمل فعلا للمفرد قوس . إن أصل الجمع هذا هو قووس ، فقدمت اللام فى موضع العين ، فصارت قسوو على وزن فلوع ، فقلبت الواو الثانية ياء ، لوقوعها طرفاً ، والواو

---

(١) شذا العرف ص ١٤٣ .

(٢) شرح ابن عقيل ٥٨٢ .

(٣) شذا العرف ص ١٤٣ .

الأولى لاجتماعها مع الياء وسبق إحداها بالسكون وكسرت السين لمناسبة الياء والقاف لعسر الانتقال من ضم إلى كسر ...»(١)

وأنظر مثلا ثانيا إلى مايقولونه فى شأن (خطـايا) فالمفرد (خطيئـة) وتجمع على خطائى ، فماذا حدث فى (خطـائى) حتى أصبحت (خطـايا) « أبدلت الياء المكسورة همزة ... فصارت خطائىء بهمزتين ، ثم الهمزة الثانية ياء ؛ لأن الهمزة المتطرفة إثر همزة تقلب ياء مطلقا ، فبعد المكسورة أولى ؛ ثم قلبت كسرة الهمزة الأولى فتحة للتخفيف ، كما فى المدارى والعذارى ، ثم قلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها ، فصارت خطاءا بألفين بينهما همزة ، والهمزة تشبه الألف ، فاجتمع شبه ثلاث ألفات وذلك مستكره ، فأبدلت الهمزة ياء فصارت خطايا ، بعد خمسة أعمال . »(٢)

وأنظر مثلا ثالثا إلى مايقولونه فى (مطايا) جمع مطية ، إن المفرد والجمع كليهما فرع ناتج عن أصل فأما المفرد فالأصل فيه (مطيوة) وأما الجمع فالأصل فيه مطايو « قلبت الواو ياء لتطرفها إثر كسرة فصارت مطائى ؛ ثم قلبت الياء الأولى همزة كما تقدم ، ثم أبدلت الكسرة فتحة فصارت مطاءى ثم الياء ألفا ، ثم الهمزة المتوسطة ياء ، فصار مطايا بعد خمسة أعمال »(٣) .

---

(١) السابق ص ٧٣ .

(٢) السابق ص ١٤٨ .

(٣) السابق ص ١٤٨ .

ولا نريد أن نطيل أكثر من ذلك [1] فحسبنا هذه الأمثـلة الثلاثة دليلا على فرض أصـل لا وجود له ثم افتراض الانتقـال من مرحلة لفظية إلى أخرى خلال عمليات صرفية حتى نصل إلى الفرع ، الفرع المستعمل فعلا (!!) والذى أتى من أصل مفترض لا وجود له .

على أن ابن جنى بماله من ثاقب نظر وصفاء فكر ، قد دافع عن افتراضات الصرفيين وانتقالهم من مرحلة لفظية إلى أخرى حتى نصل إلى الفرع المستعمل دفاعا عادلا مقبولا من حيث واقـع اللغة حيث يقول « هـذا الموضع (يقصد موضع تقدير أصل لكلمة ما) كـثير الإبهام لأكـثر من يسمعه ، لاحقيقة تحته ، وذلك كقولنا : الأصل فى قام قوم وفى باع بيـع وفى طال طول وفى خاف ونام وهاب خوف ونوم وهيب وفى شد شدد وفى استقام استقوم وفى يستعين يستعون ، وفى يستمد يستمدد . فهذا يوهم أن هذه الألفاظ وما كان نحوها ــ مما يدعى أن له أصلا يخالف ظاهر لفظه ــ قد كان مرة يقال ، حتى إنهـم كانوا يقولون فى موضع قام زيد ، قـوم زيد ، وكذلك نوم جعفر وطول محمـد وشدد أخوك يده ، واستعدد الأمـير لعدوه ، وليس الأمـر كـذلك ، بل بضده ، وذلك أنه لم يـكن قط مع اللفظ بـه إلا على ماتراه وتسمعه . » [2]

فابن جنى ينفى أن يكون هذا الأصل ستعملا أو كان مستعملا وقتـا من

---

(١) يضاف إلى هذه الأمثلة ما ذكرناه فى الجزء الخاص بالمصدر والفعل عن جمع ناقة على أنيانق .

(٢) الخصائص ص ٢٥٦ و ٢٥٧ .

الزمان ، ويؤكـد ذلك مرة أخرى بقوله « فأما أن يكون استعمل وقتا من الزمان كذلك ، ثم انصرف عنه فيما بعد إلى هـذا اللفظ فخطأ لا يعتقده أحد من أهل النظر . » (١)

ثم إنه يعلل لقيام الصرفيين بهذه الافتراضات الصرفية بقـوله « وإنما معنى قولنا : إنه كان أصله كـذا : أنه لو جاء مجيء الصحيـح ولم يُعَـلّ لوجب أن يكون مجيئه على ما ذكرنا » (٢) .

أى أننـا لو أتينا بالجـمع على مثـال المفرد دون إعـلال فى خطيئة لقلنـا خطائى » وفى جمـع قوس دون قلب مكانى لقلنـا قووس . وما افتراضات الصرفيين إلا اجتهادات شكلية لا علاقة لها إطلاقا بالاستعمال الفعلى ، بل إنها لاثبات أن إعلالا قد حدث عند إتياننا بالجمع أو بغيره من الصيغ الصرفية .

فلا بأس إذن من القول بأن جاه مقلوب وجه وأن أيس مقلوب يئس وأن ضنّ الأصل فيهـا ضنن ، ويأتى ابن جنى بمثالين على استعمال الأصل فى قول الشاعر .

صددت فأطولت الصدود وقلما   وصال على طول الصدود يدوم

وقول الآخر

أنى أجود لأقوام وإن ضننوا (٣)

---

(١) الخصائص ص ٢٥٧ .

(٢) الخائص ص ٢٥٧ .

(٣) الخصائص ص ٢٥٧ .

ونلاحظ أن استعمال الأصل فى الثانى لن يكسر وزن البيت ولن يغير من حرف رويه فى حين أن البيت الأول ينكسر إذا قال الشاعر (أطلت) بدلا من قوله أطولت .

لا بأس من هذا كله ، ولكن البأس كل البأس والصعوبة البالغة والإغراق فى الخيال نراه فى (الإجراءات) الصرفية المعقدة فى الأمثلة التى أوردناها وفى غيرها مما لم نوردها ، فأنى للطالب بل المتخصص من حفظ التقلبات الصرفية التى لحقت بـ (خطائى) حتى أصبحت (خطايا) ؟ وكيف له إن يدرك أن (مطايا) هى فرع بـ (مطايو) . بل إن النطق فى بعض الأصول محال كما لاحظ ذلك ابن جنى فى أصل سماء وقضاء ، « فالأصل فيهما سماو وقضاى ، فلما وقعت الواو والياء طرفا بعد ألف زائدة قلبتا ألفين ، فصار التقدير بهما إلى سماا ، وقضاا ، فلما التقت الألفان تحركت الثانية منهما فانقلبت همزة ، فصار ذلك إلى سماء وقضاء . أفلا تعلم أن أحد ما قدرته - وهو التقاء الألفين - لا قدرة لأحد على النطق به »[1] .

نود أن نقول إن الفروع التى تظهر أصولها بالنظر المجرد ، أو بعملية واحدة من عمليات القلب مثل وجه وجاه وضنن وضنّ وقاضى وقاض شىء مقبول ، بل إنه استعمل فى بعض الأحيان كما أشرنا إلى ذلك من قبل . بالإضافة إلى أن بعض تلك الأصول كانت فى القديم لهجة من لهجات القبائل العربية ، فالأمر من المضعف شدّ وضنّ وفرّ الأصل فيه اشدد واضنن وافرر

---

(١) الخصائص ١/٢٥٩ .

« وهكذا لغة أهل الحجاز وهى اللغة الفصحى القدمى »(١) .

بل إن من أهل المملكة العربية السعودية من يستعمل اسم المفعول من الفعل الأجوف دون إعلال ، فيقول (مبيوع) .

هذه واحدة ، وأخرى أن الفروع التى لا يستبين أصولها إلا بعد طول النظر وإمعان الفكر وإجهاد العقل وعمليات صرفية معقدة مثل خطايا ومطايا وقسى مرفوضة عندنا ، صحيح أنها عمليات وأصول افتراضية ، كما يقول ابن جنى ولا صلة لها بالواقع ، ولكنها ـ بالإضافة إلى ذلك ـ ليست بذات فائدة لغوية ، وتركها لن يضيرنا ولن يضير اللغة شيئاً .

ولعل هذه الافتراضات الصرفية التى تدرجت بالأصل حتى صارت به إلى الفرع ، أو التى تراجعت بالفرع شيئاً فشيئاً حتى أرجعته إلى أصله ، أقول لعل هذه الافتراضات هى السبب أو هى الأصل فيما رأيناه بعد ذلك من مسائل صرفية تتعلق ببناء وزن من وزن آخر نحو « كيف تحيل لفظ وأيت إلى لفظ أويت : فطريقه أن تبنى من (وأيت) فوعلا فيصير بك التقدير إلى (ووأى) فتقلب اللام ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فتصير (ووأى) ثم تقلب الواو الأولى همزة . . . »(٢) إلى آخر هذه الافتراضات التى تشبه تماماً ما رأيناه فى خطايا وخطايىء ومطايا ومطايو .

على أن فى القلب لفظين ليس أحدهما أصلا للاخر بل إن كل واحد

---

(١) الخصائص ٢٦٠/١ .

(٢) الخصائص ٨٩/٢ .

منها أصل بذاته ، وذلك عندما يتساويان فى الاشتقاق ، فلكل منها مصدر وفعل واسم فاعل واسم مفعول ... الخ ، وذلك كالفعل جذب وجبذ . أما إذا كان واحد منها متصرفاً ، يأتى منه ما ذكرناه من مشتقات، والآخر ليس كذلك ، فالأول أصل والثانى فرع مثل أيس ويئس ، وامضحل، واضمحل واكفهر واكرهف وطمأن وطأمن [١] .

وقريب من هذا (بطيخ وطبيخ) فليس واحد منها أصلا والآخر فرعاً على القلب بل كل منها أصل وهما لغتان[٢].

أما عن إبدال الحروف فلنا تعليلان واحد صوتى والآخر قبلى .

فأما الصوتى [٣] فنى مثل : بناء زهر على وزن افتعل فتصبح (ازتهر) ، هنا نجد صعوبة فى نطق التاء متبوعة بنطق الزاى ؛ لأن التاء صوت مهموس والزاى صوت مجهور [٤] ، فبقانون المماثلة Assimilation لا بد أن نجعل

---

(١) الكتاب ٣٨٠/٢ والخصائص ٧١/٢ و ٧٢ و ٧٣ ، والمزهر : ٤٨١/١ .

(٢) المزهر : ٤٨١/١ .

(٣) أنظر فى ذلك أبحاث فى اللغة العربية للدكتور داود عطية عبده ص ١٥ بيروت ٧٠ وعلم اللغة العام : القسم الثانى (الأصوات) للدكتور كمال بشر ص ١١٠ دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .

(٤) الأصوات المهموسة يجمعها قولك(فحثه شخص سكت) والمجهورة=

الصوتين مهموسين ، فتصبح الكلمة (استهر) بقلب الزاى سينـا ، وهو مالم يسمع ، أو أن نجعل الصوتين مجهورين ، فتصبح الكلمة (ازدهر) بقلب التاء دالاً وهو المستعمل فعلا .

وكذلك يقال فى (اذ تكر) اذ دكر ، ثم إن الدال أدغمت فى الذال بعد قلبت الأخيرة دالا ، والذال والدال مجهوران ، فصارت الكلمة ادّكر .

وبناء افتعل من (صبر) اصتبر ، وتستبدل الطـاء بالتاء ، فتصير الكلمة (اصطبر) ، وذلك لأن الصاد والطاء صوتان مطبقان فى حين أن التاء صوت غير مطبق .

=غير ذلك . وبيان ذلك أن انحبـاس الهواء حين حدوث الحروف قد يكون تاما بحيث يمتنع خروجه حين الاعتماد على مخرج الحرف ، ولا يكون النطق بالحرف تاما إلا بإزالة هذا الاعتماد وترك الهواء ينطلق بعد انحباسه . وقد يكون هذا الانحباس ناقصاً بحيث يخرج الهواء مع وجود الاعتماد على مخرج الحرف ، ويسمع صوت الحرف مع خروج الهواء فى آن واحد . فالحروف التى هى من النوع الأول تسمى الحروف المجهورة والتى هى من النوع الثـانى الحروف المهموسة ، وأما حروف المد فلا يكون فيها اعتماد على مخرج مطلقاً . وهـذا التقسيم موجود عند الغربيين ممن ألفوا فى هـذا العصر ، وهم يسمون النوع الأول بالفرنسية Occlusives ومعناها المغلقة والثـانى Spirantes ومعناها النافخة أو ذات النفس (فقه اللغة وخصـائص العربية للدكتور محمد المبارك ص ٥٠ و ٥١ ط ٣ بيروت سنة ١٩٦٨) .

وكذلك بناء افتعل من (ضرب) اضترب . نجد أن الضاد صوت مطبق ، فلابد أن تتبع بصوت مطبق مثله ، وهو الطاء (بدلا من التاء) فتصير الكلمة (اضطرب) . ومن ناحية أخرى نجد أن الضاد صوت مجهور والطاء صوت مهموس ، فيتحقق هنا قانون عدم التماثل dissinilatoin ، ومن ثم نجد من العرب من يقلب الثانى إلى الأول،أى التاء إلى الضاد ثم يدغم ،فيقول(اضرب) بتشديد الضاد[١] .

وأما القبلى فهو خاص بلهجة قبيلة من القبائل ، فـ « ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف ، وإنما هى لغات مختلفة لمعان متفقة ، تتقارب اللفظتان فى لغتين لمعنى واحـد ، حتى لا يختلفا إلا فى حرف واحد » [٢].

« والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طوراً مهموزة،وطورا غير مهموزة ولا بالصاد مرة وبالسين أخرى ، وكذلك إبدال لام التعريف ميا ، والهمزة المصدرة عنيا ، كقولهم فى نحو أن : عن ، لاتشترك العرب فى شىء من ذلك ، إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون » [٣]

ويعلل إبراهيم أنيس ذلك باختلاف البيئات « فالبدو يميلون إلى الأصوات الشديدة فى نطقها وهو أمر طبيعى يلتئم مع ماعرف عند البدو من غلظة وجفاء

---

(١) السابق ص ٥ ، ٥١ .

(٢) السيوطى : المزهر حـ ١ ص ٤٦٠ .

(٣) السابق حـ ١ ص ٤٦٠ .

في الطبع ..... في حين أن أهل المدن المتحضرة يميلون إلى رخاوة تلك الأصوات الشديدة بوجه عام ، إذ فيها من التؤده والليونة ما ينسجم مع بيئتهم وطبيعتهم . فالباء والتاء والدال والكاف وغيرها من الأصوات الشديدة ، قد نسمعها في أفواه المتحضرين فاء وسينا وزايا وشيناً على الترتيب » (١)

« فأزدشنؤة يقولون (تفكهون) وتميم يقولون (تفكنون) بمعنى (تعجبون) . » (٢) « والسين تقلب تاء في لهجة اليمن » (٣)

« ونسب الرواة لقبيلة حمير أنها كانت تقلب اللام في أداة التعريف ميما . » ولقبائل سعد بن بكر وهذيل والأزد والأنصار أنهم كانوا يقلبون (العين) في الفعل أعطى إلى (نون) فيقولون (أنطى) » (٤) .....

كانت هذه النقاط هي المكونة للخطوط العريضة في درس الأصلية والفرعية عند نحاة العرب ولغوييهم وعند من يقابلهم في لغة الفرنسيين والانجليز والألمان والفرس . إلا أن هذا لا ينفي أن كلمتي الأصل والفرع ترددتا في كثير من مواضع الدرس النحوي العربي ، وهذه المواضع تتعرض لأشياء محدودة في سطر أو سطرين ، ولا يكون الموضع فيها درسا مستقلا ، كما كان الحال مع المذكر

---

(١) اللهجات العربية ص ٧٠ مطبعة الرسالة القاهرة سنه ١٩٥٦ .
(٢) المزهر جـ ١ ص ٤٧٣ .
(٣) اللهجات العربية ص ٧٦ .
(٤) السابق ص ١٠٣ .

والمؤنث، أو النكرة والمعرفة، أو المفرد والمثنى والجمع، إلى آخر هذه الفصائل النحوية gsmmaitical categories التي تعرضنا لها بالتفصيل .

من هذه المواضع مثلا أن اسم الفاعل فرع على الفعـل الذى هو الأصل ، لذلك كان اسم الفاعل أضعف من الفعل فى العمل، يؤيد ذلك أنه يتعدى أحيانا باللام وأحيانا بنفسه فتقول زيد ضارب عمرا ، وضارب لعمرو (١)، ومنها أيضا أن المقصور أصل والممدود فـرع ، لذلك يجوز رد الفرع إلى الأصل أى قصر الممدود ولا يجوز العكس (٢) ومنهـا أن الأسماء الأعجمية فرع على الأسماء العربية التى هى أصل ، لذلك منعت الأولى من الصرف (٣) . ومنها أن الأصل في صاحب الحال أن يكون معرفة . وقد يخرج عن هذا الأصل إذا تقدم عليه الحال نحو « فى الدار جالسا رجل » (٤) .

وتجىء صورة أخرى من صور الأصلية والفرعية فى عناوين بعض الأبواب مثل « كان وأخواتها » فـ (كان) هى أم الباب لخصائص ذكرها النحويون ، كذلك (إن) أم الباب فى أن ولكن وكأن وليت ولعل ، والهمزة هى أم

---

(١) ابن يعيش : شرح المفصل جـ ٦ ص ٧٨ ط المنيرية .

(٢) السابق جـ ١ ص ٣٨ .

(٣) الزجاج : ما ينصرف وما لا ينصرف ص ٥ تحقيق هـدى قراعة . ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٩٧١م .

(٤) ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك . تحقيق محمد محيي الدين ص ١١٠ مطبعة السعادة سنة ١٩٤٩م .

الباب فى حروف الاستفهام وأسمائه (لا يوجد من حروف الاستفهام إلا الهمزة وهل فقط) وأصل الضمائر المتصل المستتر، لأنه أخصر، ثم المتصل البارز عند خوف اللبس لكونه أخصر من المنفصل ثم المنفصل عنـد تعذر الانفصال . . . [١] .

---

(١) الرضى : شرح كافية ابن الحاجب حـ ٢ ص ١٣ دار الكتب العلمية بدون تاريخ .

نتائج البحث

نتائج البحث

إذا كانت المقارنة بين اللغات المشتركة فى الأصل أو العائلة تفسر لنا كثيراً من الظواهر اللغوية التي يصعب تفسيرها لولا هذه المقارنة، فإن التقابل بين لغتين ليستا من أرومة واحدة يساعد الإنسان كثيراً فى تعلم لغة ليست هى لغته الأم، لأن التقابل سوف يكشف له عن وجوه التشابه بين اللغات ، وهذا ما فعلناه فى الفصل الأول حيث بينا أوجه التشابه والاختلاف بين اللغة العربية من ناحية، واللغات والهندوأوربية التى اتخذناها ميداناً للتقابل من ناحية الأخرى وكان التقابل يتناول المفردات والأصوات والتركيبات .

ثم إن هناك تقابلا آخر فى هذا البحث ، وهو التقابل بين الفصل الثانى والفصل الثالث ، فهما يدوران حول الأصلية والفرعية عند نحاة الغرب ونحاة العرب . ذلك أن التحويليين يقولون إن هناك شقين للغة ، الأولى هو المظهر الخارجى لها ، أى الكلام المنطوق به فعلا ، وهو محل دراسة الوصفيين الذين تأثروا بالمدرسة السلوكية فى علم النفس ، فى حين أن التحويليين عدوه مظهراً خارجياً ذا أثر صوتى يعتمد على الأداء ، ويجب أن يرد إلى التركيب الباطنى وهو الشق الثانى عندهم ويتمثل فى المقدرة أو الكفاءة فى الإنسان التى تجعله يستوعب القواعد أو الأسس التى ينبنى عليها الكلام .

وبعد أن درسنا هذه النظرية درساً مفصلا وعرضنا لكل جزئية من جزئياتها بالشرح والتحليل مع الأمثلة من اللغة الانجليزية والعربية خرجنا بالنتائج العلمية التالية :

١ ــ وضع تراكيب أساسية للغات جميعاً فيما يعرف بعالمية التراكيب الأساسية أمر متعذر، بل هو أمر مستحيل استحالة اللغة العالمية التى وضعها العالم الروسى الدكتور لازاروس زامهنوف سنة ١٨٨٧ م وسماها اسبرانتو، ثم ما لبثت أن خبت ثم تلاشت وزالت . واستحالة عالمية التراكيب الأساسية يرجع إلى أن لكل لغة تراكيبها الخاصة بها وسماتها المميزة لها .

٢ ــ عالمية التراكيب الأساسية التى قال بها التحويليون استدعت عندهم تطبيق المنهج الرياضى على البحث اللغوى . وهذا خطأ كبير ، لأن طبيعة اللغة تغاير طبيعة الرياضة ، والعلوم الطبيعية كالكيمياء والطبيعة .

٣ ــ قول التحويليين بأن الإنسان يولد مزوداً بيولوجياً بكفاءة أو بقدرة على اللغة قول صحيح ، ولكنه لا ينفى أبداً صحة نظرية السلوكيين من علماء النفس القائلة بأن اللغة عادة سلوكية مكتسبة كغيرها من العادات السلوكية الأخرى فالعاملان معاً هما اللذان يمكنان الإنسان من اللغة واستيعابها، بدليل أن الطفل المزود بيولوجيا بالمقدرة على اللغة لو نشأ وترعرع فى غابة بين الوحوش فلن يستطيع النطق باللغة ، وأن حيوانا يعيش بين ناس ينطقون لن يستطيع ذلك أيضاً .

٤ ــ ويترتب على ما جاء بالنتيجة الثالثة أن الجانب الذى نظر منه التحويليون إلى اللغة جانب صائب ، وأن الجانب الذى نظر منه الوصفيون إلى اللغة جانب صائب أيضاً ، فأما الفريق الثانى فقد نظر إلى اللغة من حيث إنها ظاهرة سلوكية منطوقة ومسموعة أى (فيزيقية) ؛ أى أنهم تابعوا السلوكيين فى مذهبهم وحذوا حذوهم ، وأما الفريق الأول فقد نظر إلى اللغة

المنطوقة كتابع أو كنتيجة لتركيب أساسى أو معنى باطنى . وهذا التركيب الأساسى أو المعنى الباطنى هو محور البحث عندهم وهو الأساس ، وهو الذى يمثل الكفاءة أو المقدرة البيولوجية التى قالوا عنها إنها تولد مع الطفل عند ولادته هذا مع احتفاظنا برأينا فى عدم عالمية هذه التراكيب الأساسية ؛ إذ إنها تختلف من لغـة إلى أخرى . وهذا الاختلاف مرده إلى العاملين نفسيهما : المقـدرة البيولوجية .. والبيئة اللغوية التى ينشأ فيها الطفل .

٥ ـ كان ما جاء بالنتيجة الثالثة (المقدرة البيولوجية المزود بهـا الطفل) هو الشق الأول فى نظرية التحويليين ، أما الشق الثـانى وهو عن القواعـد التحويلية التى ترد التراكيب السطحية إلى تراكيبها الأساسية ، فهو لا ينهض كنظرية متكاملة فى الدرس النحوى ، أقصد نظرية قادرة على استيعاب كل جوانب الدرس النحوى ؛ لأن ما تقـدمه القواعد التقليدية فى درس النحاة القدامى ليس ذلك فحسب ، بل هى تقدم تعريفات نظرية ، وقواعد ذات حالات مفصلة، ووجوهاً مسببة للاعراب وغيرذلك مما يقصرعن بلوغه الدرس التحويلى، ويعد في الوقت نفسه لازماً كل اللزوم فى تعليم النحو، فى حين أننا نرى كثيراً من مظاهر التحويل فى الدرس النحوى القديم .

والتركيب الظاهرى أو السطحى وحتميـة رده إلى الأصل ، أى إلى التركيب الأساسى عند التحويليين ... هذان التركيبان يؤديان بنا إلى الأصلية والفرعية لا محالة ، مما أوحى لنا بكتابة الفصل الثالث عن الأصلية والفرعية عند نحاة العربية ، في مقابلة بينهم وبين التحويليين ، تتناول عالمية التراكيب

الأساسية [١] ، ثم بين العربية من ناحية واللغات الهند أوربية من ناحية أخرى في مسائل صرفية أو نحوية محددة ظهرت فيها فكرة الأصلية والفرعية وهى :

١ ـ أن المذكر أصل للمؤنث .

٢ ـ أن النكرة أصل للمعرفة .

٣ ـ أن المفرد أصل للمثنى والجمع .

وكل هـــذا مما يطلق عليـه النحويون المحدثون الفصائل النحوية grammatical Categories

٤ ـ المصدر والفعل ، أيهما أصل للآخر .

٥ ـ التصغير يرد الأشياء إلى أصولها.

٦ ـ القلب المكانى وما يتصل به من إعلال وإبدال ، فالكلمة قبل القلب والإعلال والإبدال أصل ثم هي فرع بعد ذلك.

أما عن عالمية التراكيب، فقد قال العرب بالعالمية أيضا ، ولكنّ هناك فرقاً كبيراً بين العالمية عندهم وبين العالمية التى رآها تشومسكى، ويتأتى هذا الفرق من أن العالمية التى قال بها العرب تتصل بالشكل وليس بالموضوع ، أو قل تتصل بتقسيمات شكلية محضة لا علاقة لها بالموضوع ، إنها تتصل بأمور عقلية. فأية لغة لا تكون الكلمة فيهـا اسماً وفعلا وحرفاً ؟ ! إن هـذا شيء متحقق فى

(١) هذا بالإضافة إلى ما كتبناه فى الفصل الثانى عن المقابلة التى تتناول تطبيق الدرس النحوى التحويلى على قواعد النحو العربى .

الانجليزية والفرنسية والفارسية والألمانية ... بالإضافة إلى العربية بالطبع . إنهم لم يتكلموا عن بنية داخلية أو تركيب باطنى يرد إليه ما نؤديه من كلام منطوق فعلا . فابن الخباز يتكلم عن تقسيم شكلى وهو تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف ، وقد حذا فى ذلك حذو المبرد من قبله الذى جمع الكلام عربياً كان أم أعجمياً فقسمه الأقسام نفسها . وكذلك كان تقسيم الفارابى . كانت كل تقسيماته تتصل بالشكل ، فهو يقسم الألفاظ عند كل أمة إلى مفردة ومركبة ويقصد بالمركب الجملة . وهذا ينطبق على اللغات جميعاً ، فالألفاظ إما مفردة أو مركبة تتكون منها الجملة . ثم إنه ـ أى الفارابى ـ يرى أن علم اللسان عند كل أمة ينقسم سبعة أجزاء عظمى علم الألفاظ المفردة ... وقوانين تصحيح الكتابة وقوانين تصحيح القراءة ... دون أن ينص على أن هـذه القوانين متشابهة فى كل اللغات ، بل إنه رأى أن التقسيم نفسه ـ دون محتوى كل قسم ـ خاص بالألسنة جميعاً أو ينطبق على اللغات جميعاً . ولما رأى شيئاً يتصل بالموضوع أو بالمحتوى خصه بلغة واحدة وقارن بينـه فى تلك اللغة وبين ما يماثله فى اللغات الأخرى .

وعلى ذلك فقس باقى الطرق التى تستعملها كل لغة . فأين هذا كله من قول تشومسكى إن التراكيب الظاهرة ترد إلى تراكيب أساسيـة تنضوى تحتها كل اللغات ؟ .

إن مايدحض رأى تشومسكى فى عالمية التراكيب الأساسية أن كل نحوى فى الغرب افترض تراكيب أساسية تخالف ماافترضه الآخر، وهم أصحاب لغة واحدة،وأن نحوياً عربيا وهو محمد الخولىعندما قام بدراسة تقابلية فى كتابه « قواعد تحويلية للغة العربية » افترض تراكيب أخرى مغايرة تماما لما وضعه

تشومسكي وتلاميذه ، وأشار إلى أنه عدل فى التراكيب الأساسية لكى تلائم اللغة العربية .

وقد عرضنا بعد ذلك للقضايا الست التى أشرنا إليها منذ قليل عرضاً مفصلاً عند نحاة العربية مع المقابلة باللغات الهند وأوربية فى المواضع التى يكون فيها مجال للتقابل .

لقد رأى النحاة أن المذكر أصل والمؤنث فرع عليه ، وكان رأينا أن كلا منهما أصل ، وليس واحد منهما تابعا للآخر، بدليل أن بعض ما كان مذكرا فى لغة ما مؤنث فى لغة أخرى والعكس صحيح ، ولو كان هناك أصل وفرع لشمل اللغات جميعا كما هو الحال فى الضمائر مثلا فأنا وأنت وهم وهن .... ضمائر فى كل اللغات، ثم عرضنا لبعض الكلمات التى يجوز فيها التأنيث والتذكير، مما ينفى الأصل فى واحد والفرع فى الآخر ، ورأينا مثل ذلك فى اللغة الفرنسية وكان النحاة بلاشك متأثرين بالأحكام الشرعية فى قولهم بأصلية المذكر وفرعية المؤنث، فللذكر مثل حظ الأنثيين شرعا، والرجال قوامون على النساء، والشهود رجلان أو رجل وامرأتان ، فالشرع جعل الرجل أرجح عقلا وأفضل خطاً من الأنثى فلا غرابة إذن أن يجعل النحاة الذكر أصلا والأنثى فرعاً .

وقد رتب النحاة على قولهم هذا أسبابا نحوية لمسائل عديدة منها منع صرف المؤنث العلم لأنه أقل منزلة من المذكر وتذكير الأعداد من ثلاثة إلى عشرة واحتياج المؤنث إلى علامة، لأنه فرع بعكس المذكر فلا يحتاج لأنه أصل، وأن تذكير المؤنث واسع جداً لأنه رد فرع إلى أصل ولكن تأنيث المذكر نادر .

وبينا علامات التذكير فى العربية والفرنسية، ورأينا أن الإنجليزية والفارسية

لاعلامة فيها تفرق بين الجنسين . والمحايد جنس ثالث فى الألمانيـة ولاقاعدة تحده، فليس هو وسط بين المذكر والمؤنث كأن يكون محايداً، بل إن الأجناس الثلاثة لا تحكمها قاعدة مضبوطة ولا دخل للعقـل فى التميز بين الأجنـاس . إلا أن فى اللغة العربية ظاهرة تتفق والعقـل ، وهى أن ما كان صفه للمؤنث دون المذكر لايحتاج إلى عـلامة تأنيث كامرأة حائض ومرضع وحامل . . .

ويقول النحاة إن النكرة أصل والمعرفة فرع،وهذا صحيح لأن الأشياء ـ أيا كانت ـ تكون فى أول أمرها مجهولة ثم يستبين أمرها بعد ذلك . وعرضنا بعد ذلك تفصيلا لعلامات التنكير والتعريف فى العربية وفى اللغات التى اتخذناها ميدانا للتقابل .

وبينا أن هناك علاقة وثيقة تربط بين الإعراب والنكرة ، وعلاقة وثيقة أيضا تربط بين البناء والمعرفة؛لأن الإعراب جاء لإزالة اللبس والغموض فهو بالنكرة أولى،أما المعرفة فهى واضحة لا لبس فيها فكان يناسبها البناء،وتتضح هاتان العلاقتان فى الأبواب النحوية التى يشترك فيها المعرفة والنكرة كباب النداء ، وباب لا النافية للجنس ، وإعراب أمس عندما تكون مجهولة وبنائها عندما تكون معينة باليوم الذى قبل يومك . وفى مجال ترتيب المعارف عقدنا مقابلة لبيان الاختلاف فى هذا المجال بين العربية واللغات الأخرى .

ثم انتقلنا إلى فصيلة العدد ورأينا أن العدد الحسابى مطابق تماما للعدد اللغوى بعكس الحال فى التذكير والتأنث، فلا مجال للعقل فى التميز بين المذكر والمؤنث . ووافقنا النحاة فى قولهم إن المفرد أصل لكل من المثنى والجمع ؛ لأن هذا أمر عقلى ، فالمفرد أولا ثم يأتى بعد ذلك المثنى والجمع ، وما كان المثنى أو الجمع لو

لم يكن المفرد أولا حتى من ناحية التصور ، فنحن لانستطيع أن تتصور اثنين أو ثلاثة إلا بعد أن تتصور الواحد قبلها . ورأينا ـ خلافاً لبعض اللغويين ـ أن وجود المثنى فى اللغة دليل على تطورها ورقيها وتقدمها، وميلها إلى التقنين والتحديد، وعرضنا لظاهرة عدم وجود التثنية فى اللغات التى اتخذناها ميدانا للتقابل وفصلنا القول فى طريقة التثنية فيها والجمع ومايقابل ذلك فى العربية . وفصلنا القول فى تذكير العدد وتأنيثه فى العربية واللغات المقابلة لها .

ورأينا أن مسألة الأصلية والفرعية فى المصدر والفعل لها وجهان : وجه شكلى ونقصد به مايقوم به علماء اللغة والنحو من إرجاع الكلمة إلى أصلها عند البحث عنها فى المعاجم اللغوية أوعند الاشتقاق والجانب التقابلى فى هذا الوجه يوضح الاختلاف بين اللغات فى ذلك وقد وضحناه توضيحاً . ووجه موضوعى يتصل باللغة من حيث هى لغة،لامن حيث هي لغة عربية أو لاتينية أو . . . ـ أو بالأحرى يتصل بتاريخ اللغة منذ القدم لنعرف أيها كان أسبق فى الظهور الاسم ـ ولا نقول المصدر ـ أو الفعل . إن الفعل تجريد، أى فكرة غير مشخصة أو غير ملموسة مثل (أكل) ، أما الاسم فهو فى بعض أحواله مشخص أو ملموس، مثل (الأكل)، ومن ثم جاز لنا أن نقول إن الفعل (أكل) لم يكن له وجود قبل أن يوجد الأكل نفسه .

أما المصدر نحو (ضربا) فى (ضربت ضرباً) أو المفعول المطلق ، وهو شىء تختص به اللغة العربية،فنظن أن الفعل أسبق من المفعول المطلق إذ إننا لا يمكن تصور (ضرباً) إلا بعد أن نتصور (ضرب) (بفتح الحروف الثلاثة) .

أما عن التصغير فقد بينا المواضع التى ترد فيها الكلمات إلى أصولها بواسطته،

ورأينا أن هذه ليست قاعدة ، فهناك من مواضع التصغير مافيه حذف . ورأينا أن اللغات المقابلة تخلو من ظاهرة التصغير إلا الفارسية .

وقد عرضنا للقلب والإعلال والإبدال ورأينا فى بعض مواضعه طول نظر وإمعان فكر وإجهاداً للعقل وعمليات صرفية معقدة لرد الفرع الذى أمامنا لأصله المفترض عند الصرفيين ، مثل خطايا ومطايا وقسى . ورأينا أن هناك تعليلين لإبدال الحروف أحدهما صوتى والآخر قبلى وعرضنا لهما بالتفصيل .

وبعد فهذا مبلغ جهدى وهو خالص لوجه الحق سبحانه وتعالى وأدعوه بالتوفيق والسداد .

المحتويات

فهــــرس بالمراجــــع

أ ـ مراجع عربية

١ ـ أبحاث فى اللغة العربية للدكتور دواد عطية عبده . بيروت ١٩٧٣

٢ ـ إحصاء العلوم للفارابى تحقيق د عثمان محمد أمين .مطبعة السعادة بمصر ١٩٣١

٣ ـ إحياء النحو لابراهيم مصطفى . لجنة التأليف والترجمة والنشر سنه ١٩٥١م

٤ ـ إسرار العربية لابن الأنبارى ط ليون سنه ١٨٨٦ م

٥ ـ الأشباه والنظائر للسيوطى ط حيدر آباد سنه ١٣٥٩ ﻫ

٦ ـ أشتات مجتمعات . للعقاد . دار المعارف سنه ١٩٦٨ م

٧ ـ أضواء على الدراسات اللغوية الحديثة . د. نايف خرما سلسلة عالم المعرفة ط٢ . الكويت ١٩٧٩ م

٨ ـ إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج . تحقيق ابراهيم الأبيارى وزارة الثقافة ١٩٦٤ م

٩ ـ الإغراب فى جدل الإعراب ومعه لمع الأدلة لابن الأنبارى . تحقيق محمد محمد سعيد الأفغاني ط الجامعة السورية ١٩٥٧ م

١٠ ـ الإنصاف فى مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين لابن الأنبارى. التجارية ١٩٥٥ م

١١ - الإيضاح فى علل النحو للزجاجى : تحقيق مازن المبارك دار العروبة ١٩٥٢م

١٢ - البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث لابن الأنبارى تحقيق د. رمضان عبد التواب دار الكتب ١٩٧٠م

١٣ - حاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك التجارية ١٩٣١م

١٤ - الخصائص لابن جنى تحقيق محمد على النجار . دار الكتب ١٩٥٣م

١٥ - دراسات فى علم اللغة (القسم الأول) . د. كمال بشر دار المعارف ١٩٦٩ م

١٦ - دراسات فى علم اللغة (القسم الثانى) الأصوات ، د. كمال بشر . دار المعارف ١٩٦٩م

١٧ - دراسات فى اللغة . دكتور ابراهيم السامرائى بغداد ١٩٦١م .

١٨ - دراسات فى اللغة والنحو العربى . د. حسن عون معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٩م

١٩ - شذا العرف فى فن الصرف للشيخ أحمد الحملاوى ط الحلبى ١٩٦٥

٢٠ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك . تحقيق الشيخ محمد محيى الدين ط التجارية ١٩٦٤

٢١ - شرح شذور الذهب لابن هشام : تحقيق الشيخ محمد محيى الدين التجارية سنه ١٩٦٠م

٢٢ ـ شرح كافية ابن الحاجب للرضى الدين الاستراباذى دار الكتب العلمية دون تاريخ

٢٣ ـ شرح مفصل الزمخشرى لابن يعيش المنيرية بمصر ١٩٤٩

٢٤ ـ شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح . لابن مالك تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار العروبة ١٩٥٧

٢٥ ـ ظاهرة الإعراب في النحو العربي د أحمد سليمان ياقوت جامعة الرياض سنه ١٩٨١م

٢٦ ـ علم اللغة د. علي عبد الواحد وافي . النهضة المصرية سنه ١٩٤٤م

٢٧ ـ غرائب اللغة . روفائيل نخلة بيروت ١٩٦٠

٢٨ ـ فقه اللغة وخصائص العربية د. مازن المبارك بيروت ١٩٦٨

٢٩ ـ فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي ط الحلبي ١٩٥٢م

٣٠ ـ قواعد تحويلية للغة العربية د. محمد علي الخولى دار المريخ الرياض ١٩٨١

٣١ ـ قواعد اللغة الفارسية د. عبد النعيم حسنين الانجلو المصرية ١٩٧١م

٣٢ ـ الكتاب لسيبويه بولاق ١٩٤٥م

٣٣ ـ اللغة لفندريس الأستاذ الدواخلي والدكتور القصاص الأنجلو سنه ١٩٥٠م

٣٤ ـ اللغة وعلوم المجتمع د. عبده الراجحي الاسكندرية ١٩٧٧

٣٥ ـ اللغة والنحو . د حسن عون مطبعة رويال بالاسكندرية ١٩٥٢م

٣٦ ـ ما ينصرف ومالا ينصرف للزجاج، تحقيق هدى قراعة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنه ١٩٧١م

٣٧ ـ مدرسة الكوفة للدكتور مهدى المخزومى . الحلبي سنه ١٩٥٨

٣٨ ـ المزهر للسيوطى تحقيق محمد أحمد جـاد المولى وآخرين ط عيسى الحلبي دون تاريخ

٣٩ ـ معانى القرآن للفراء تحقيق محمد على النجار الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٥م

٤٠ ـ مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام التجارية ١٩٦٨م

٤١ ـ المقتضب للمبرد تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٩ هـ

٤٢ ـ من أسرار اللغة د. ابراهيم أنيس الانجلو سنه ١٩٥٠

٤٣ ـ المنطق الصورى د. على سامى النشار دار المعارف ١٩٦٩

٤٤ ـ مناهج البحث فى اللغة د. تمام حسان دار الثقافة ١٩٧٤م

٤٥ ـ النحو العربى والدرس الحديث د. عبده الراجحى الاسكندرية ١٩٧٧

٤٦ ـ النصوص الفارسية د. طه ندا المعارف ١٩٧٨م

٤٧ ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطى بيروت دون تاريخ

ب ـ مخطوطـات

١ ـ الفواسخ فى كلام العرب. رسالة ماجستير للمؤلف بكلية الآداب جامعة الأسكندرية ١٩٧٢م

جـ ـ دوريات

١ ـ مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية للعام الجامعى ١٩٨١/٨٠

٢ ـ مجمع فؤاد الأول للغـة العربية . محاضر جلسات الانعقاد الرابع سنه ١٩٣٩.

٣ ـ مجلة المجتمع العلمى العراقى حـ٨ سنه ١٩٦٩

د ـ دوائر معارف :

١ ـ دائرة المعارف الإسلامية ترجمة دار الشعب ونشرها. حـ٣ ويقابل بالأصل فى اللغة الإنجليزية The Encyclopaedia of Islam V.2.

هـ - مراجع غير عربية

1 The Advanced learner's dictionary of Current English. second edition. London. Oxford.

2 — Aspects of the Theory of Syntax, by Chomsky Cambridge. The MIT press 1965.

3 — L'avare, par Moliére. Larousse Paris 1956.

4 — Course in general linguistics, by De Saussur, Tra●lated from the French language by Wade Baskin, Peter owen. London 1960.

5 A dictionary of the theoritical linguistics, by Mohamed El-Kholy. Librairie du Leban' 1982.

6 — Euglish grammar, past and present, by Nestfield. Macmillan and com. 1931.

7 — La Grammaire Nouvelle et Le Française, par A. Souché et J. Lamaison. Librairie Frenand. Nathan Paris 1962.

8 - An Intermediate English, practice book, by Pit Corder. Longman, London 1960.

9 — Introduction to Generative Transformational Syntax, by Carl L. Baker. Prentic Hall U. S: A. 1978.

10— An Introduction to English Transformational Syntax, by Rodny Hudcleston. Longman. Paper back 1976.

11 - An Introduction to Transformational grammars. by Emonon Bach. New York, Holt, Rinhart and Winston, 1964.

12 Introduction to Theoritical linguistics (C. U. P.) 1968.

13 – Julluis Caesar, by William Shakespear. Macmillan Comp. 1957.

14 — Noam Chomsky, by John Leon - Collins & Com. London 1970.

15 -- The philosophical works of Decartes, translated by Haldane and Ross, Dover publications. Inc, New York 1955.

16 — A Preposal Concerning English preposition, by Charles Fillmore. Monographe Series on language and linguistics.

17 – La science du language 9emé leçon Trad. Harris et Perrot. Paris 1867.

18 – Syntatic Structure, by Chomsky. The Hague Mouton and com. 1967.

و ـ دوريات ودوائر معـارف (غير عربية)

1 — Language مجـــلة

العدد الأول (يناير ـ مارس ١٩٥٩)

2 — La Rousse du × × Siécle. Publié sous direction de Paul Augé. Librairie La Rousse, Paris 1926.

الفهرس

الفهـــــرس

النحو التحويلى

الفصل الثالث

الأصلية والفرعية فى الدرس النحوى العربى

ربط هذا الفصل بالفصل الذى ص ٩١ . الأصليـة والفرعية أو البنية العميقة والبنية السطحية عند النحويين ص ٩١ . الأصليـة والفرعية عند نحاة العرب وبيانها فى الأبواب النحوية والصرفية ص ٩١ . العالمية ، أو الأحكام التى تشمل اللغات جميعا عنـد نحاة العرب . ص ٩٢ . الفرق بين العالمية عند تشومسكى والعالمية عند نحاة العرب ص ٩٥ .

المذكر والمؤنث ص ٩٨ .قول النحاة إن المذكر أصل للمؤنث ، وتأثرهم فى ذلك بالأحكام الشرعيةص ٩٨ .مابناه النحاة على هذا القول من قواعد نحوية ص ١٠٠ نقد قول النحاة وبيان أن كلا من المذكر والمؤنث أصل مستقل ص ١٠٢ . فقدان الصلة العقلية بين الاسم ومايدل عليه من تذكير أو تأنيث ص ١٠٣ أمثلة من الفرنسية والألمانيـة والعربية ص ١٠٣ . رأى سيبويه فى أصلية المذكر ونقد هذا الرأى ص١٠٥ . علامتا التأنيث فى العربية ص ١٠٦ التأنيث فى الفارسيـة ص ١٠٧ التأنيث فى الفرنسية ص ١٠٨ . عدم التقـاء الساكنين فى العربيـة ومقابلته بحـذف الحرف الصائت من أدوات التذكير والتأنيث فى الفرنسية إذا جـاء قبل حرف صائت آخر ص ١٠٩ . عدم وجود ضابط فى الألمانيـة يحكم الأجناس الثلاثة : المذكر والمؤنث والمحايد ص ١١٠ . أمثلة لكل نوع ص ١١٢ التأنيث فى العربية متفق مع العقل فى جزيئة من جزئياته ص ١١٣

أصلية النكرة وفرعيته المعرفة والدليل على ذلك ص ١١٤ علامة التنكير